يوم الجمعة

فريق متميزون

E-BOOK

CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE

خيط الناقوس

فاطمة عبدالله

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة يوم الجمعة

خيط الناقوس

فاطمة عبد الله

عن الكتاب..

استمرت صرخاتها وهو يحاول أن يغلق أذنه، أعاد عليها مجددًا بغضه من الأصوات العالية ولكنها لم تسمعه حتى من الصراخ الذي لم ينقطع والاستغاثات التي وجهتها له بخطى ثابتة اتجه نحو المطبخ مجددًا وتركها خلفه لتواصل ضجيجها واستنجادها المستمر، أمسك بإبريق المياه المغلية وشوكة ثم عاد نحو الطاولة من جديد يبتسم وضع الشوكة في درج الطاولة السفلي ثم استقر بهدوء عكس الجلبة التي أحدثتها الفتاة أمام ناظريها وروى عطشها بذاك الماء الساخن ليزيد من الصراخ المنبعث حتى هدأ تماما بعدما اهترأت أحبالها الصوتية أو ذابت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الإهداء

إليك عزيزي القارئ..

بعض الوقائع تسعى إلينا لندرك جيدًا كيف أن العقل أحيانًا يسحق صاحبه.

رحلة موفقة برفقة هيون وو.

انساب الأحمر في أماكن متفرقة من الغرفة وكوّن بركة لا بأس بها أسفل الطاولة الخشبية، صوت موسيقى كلاسيكية ينبعث من المذياع وتهتز قدمه على ألحانها، كان الساطور يهبط ويعلو ليجزئ الساعد إلى أربعة أجزاء، كل منها تم تقطيعه طوليًا إلى نصفين وهناك قطع طولي كذلك بدايةً من أعلى الصدر حتى نهاية النصف العلوي من الجسد، استمر الساطور في هبوطه بانتظام يفصل جزءًا عن الآخر وتتناثر الدماء على وجه حامله، أخرج الكبد وألقى به في السطل الموضوع بجانب الطاولة ثم مسح قطرات العرق المنزوية بين خطوط وجهه متخذة مجراها لتهبط على يده، أحضر حمض الهيدروفلوريك وهو يرتدي بدلة واقية كي لا يتأذى ثم سكب جزءًا من الحمض على مقدمة الرأس وبعض القطرات في أعين الجثة محدثًا بذلك حروقًا عميقة في رأسه وثقبًا مدويًا في العين، تخلص من الحمض ولكن ما زال يحتفظ بارتداء البدلة الواقية كي لا يصاب بضرر من رائحته، لم يتبقَ سوى الجزء السفلي بأكمله ولكن اكتفى لليوم ففتح المبرد ووضع ما لم يتم تقطيعه به بينما احتفظ بالأجزاء المُقطَّعة في الثلاجة الصغيرة وترك جزءًا صغيرًا منها في الخارج ليحظى بعشاء مميز، وعلى سيرة العشاء ركضت فلافي تلعق الدماء المنتشرة في كامل الغرفة وهو ما جعله ينهرها فارتعبت واختبأت في زاوية، من حسن الحظ أنه تخلص من آثار الحمض قبل أن تصل الهرة إليه وتحترق أقدامها، ذهب إليها بعد ما غسل يده وأمسكها مربتًا على رأسها:

- لا داعي لتنظيف الغرفة بلسانك، لدينا عشاء لذيذ اليوم، انظري كيف جعلتِ الدماء تنتشر في شعرك، كيف سأنظفكِ الآن؟ هيا معي إلى المطبخ ولا مزيد من الدماء اليوم!

وضع القطة في مكان عالٍ بحيث لا يمكنها النزول ووضع البهارات مع السمسم والصويا واللحم في طبق واحد ثم تركهم في الثلاجة حتى ينسجموا وخرج لينظف الغرفة.

بعد فترة من التنظيف وإعادة الأدوات إلى موضعها انتهى من الغرفة وقد كانت الهرة استطاعت الخروج من المطبخ وقد امتلأت بالدماء فاضطر أن ينظفها كذلك، دلف إلى الحمام وهو يمازح فلافي ويضع مصفف الشعر على فروها لتهبط الدماء التي اعتلته في الحوض وتعود القطة إلى لونها الأبيض المعهود، بينما انشغل في تنظيف الهرة كان التلفاز يبث الخبر الجديد معلنًا عن حادثة اختفاء جديدة لرجل في الأربعين من عمره وقد ازدادت حالات الاختفاء في الفترة الأخيرة بشكل ملحوظ مما بات حديث الإعلام وحديث الشارع أيضًا الذي يعج بملصقات تحمل صورًا للمفقودين في كل مكان وتغطي الأرصفة تلك الأوراق التي يغصبها المطر ورياحه على هجر الحائط

والتناثر في كل زاوية، قلب التلفاز ليبحث عن فيلم يشاهده بعد تنظيف القطة وإلى أن ينتهي من طهي اللحم، بحث كثيرًا ولكنه لم يجد خيارًا مناسبًا ففتح هاتفه وبحث عن واحد ثم أسند الهاتف على صندوق حديدي صغير ووضعه على المنضدة ووضع أمامه طبق اللحم والراميون، وضع طبق القطة في الأرض بجانب الطاولة وبه القليل من اللحم.

- هذا الطبق شهي جدًا، أليس كذلك فلافي؟ ليت أجاشي يتذوق منه القليل.

وعلى ذكر أجاشي توقف عن الأكل وهو ينظر إلى الغرفة من حوله وخاصة المبرد ومن ثم طبق اللحم، في الأيام الأخيرة بات النظر لعين أجاشي مؤلمًا جدًا، لم يتمكن من كبح تلك الأفكار التي هاجمته خاصة وهو لا يجد عذرًا من أجلها، كانت عينه تحمل نظرة حرقته دون أن ينظر لها في مرآة، ترك الطعام والشقة بأكملها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان صوت الطرق على الباب يعلو مما أيقظ ثلاثتهم مذعورين، اختبأ هيون وو في والده الذي نهض مفزوعًا ليرى ما يجري خلف الباب، كانت والدته أمام باب الغرفة تراقب المشهد من بعيد وتتمنى ألا يكون الأمر شرًا، ما إن فتح والده الباب حتى انهال عليه الطارق بالضرب والدماء التي خلفتها سكينه المستقرة في جسد أبيه تفترش أرض المنزل، لم يهدأ ذلك القاتل بسقوط والده إثر الطعنات التي تلقاها وإنما ظل يضربه في وجهه بعنف، حاول هيون أن يفعل شيئًا ليوقفه فاقترب وأمسك بقدم ذلك المجرم يحاول إزاحته عن أبيه فدفعه إلى الحائط المقابل، حاولت السيدة أن تضربه بالمزهرية ولكن كأنها نبهت عقله لوجودها في المنزل فترك جثة الرجل واتجه نحوها، سحبها من قدمها حتى موضع زوجها ومن ثم طعنها هي الأخرى، كان هيون يشاهد المنظر بعينه فقط أما عقله فقد توقف عن العمل ولم يستطع أن يصدر صوتًا، توقع أنه القادم فجلس في الزاوية بهدوء ينتظر دوره ويحاول الحد من ارتجافة جسده، لم يكفِ ذلك القاتل ما فعل بل نظر لهيون بابتسامة وهو يمرر يده على رقبة والده ومن ثم سكينه التي فصلت الرأس عن الجسد في مشهد لم يتحمله ذلك الطفل ذو الثلاثة أعوام وفقد الوعي بعد الكثير من الصراخ.

عندما أفاق هيون كان القاتل يجلس على الكرسي أمامه ويحتفظ بنفس الابتسامة السمجة التي اعتلت ثغره دون تزحزح، ما إن رآه استيقظ حتى وقف واتجه نحو الجثث الممددة على الأرض ثم سحبهما نحو الغرفة، كان هيون يراقب ما يفعله دون أن ينهض من موضعه حتى، امتلأ قلبه بالخوف وهو يرى ذاك المختل ينثر البنزين في كل الغرفة ثم يخرج قداحة ويراقب النيران المنبعثة منها، فهم ما سيفعله بالقداحة، أراد في نفسه أن يمنعه كي يحظى

بأبويه وكأنه ما زال يصدق أنهما على قيد الحياة ويلزم الأمر الذهاب إلى المستشفى فقط، لم تكن أفكار هيون على هوى القاتل الذي ألقى بالقداحة المشتعلة في منتصف الغرفة وسرعان ما ارتفعت ألسنة النار في الحجرة بأكملها، جرى هيون باتجاهها وكل ما يدور في عقله الصغير كيف سيستطيع أن يسحب والديه من تلك النيران، بدأ يصرخ وهو يطلب المساعدة بعد أن وقف القاتل وأشار له بالوداع وذهب، كانت النار قد طالت كل الغرفة حقًا، بل إنها تتسلل منها إلى باقي المنزل، وقف عند باب الشقة وهو يصرخ طالبًا المساعدة ولكن أيضًا لم يُجِب أحد، كان يخشى الاقتراب من الغرفة خاصة بعد أن اندفعت منها النيران، بعد وقت ليس بكبير فتح جارهم الباب ورأى هيون يصرخ ويخبره بأن هناك حريقًا، اندفع الرجل إلى الشقة وأخذ يسكب الماء على النيران ولكنها كانت أكبر من سطله البالي، لم يكن أمامه سوى أخذ الطفل من البيت حتى لا يتأذى وطلب المطافئ، رفض هيون أن يخرج من البيت ولكن الرجل أقنعه أن والديه يريدان هذا، انساق الطفل لحديثه وهو ينظر للخلف إلى تلك النيران التي لا تهدأ ودخانها المنبعث والذي ربما يحمل بقايا من جسد والديه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم تصل تحقيقات الشرطة لشيء وقُيِّدت القضية التي قامت بناءً على أقوال الصغير ضد مجهول، أخذ يحاول وصف القاتل ولكن لم يستطع أن يصل بهم إلى شيء وأخبر الشرطي جارهم السيد بارك تشانغ- الذي قد عرض تبني الولد عوضًا عن ذهابه للملجأ- أنه يجب نقل الطفل من المنزل لأنه أصبح مسرح جريمة الآن وفي نفس الوقت من أجل صحته النفسية.

- إن لي منزلًا في دايجون، يمكنني أن أتمم أوراق تبنيه وآخذه إلى هناك.

أومأ الشرطي برأسه ولم يمانع بل رحب بالفكرة التي ستجعل تلك القضية تنغلق في صمت ولن تعرض حياة الطفل للخطر، وبالفعل جهز الرجل أوراق الطفل وسافر به إلى منزله في دايجون.

في البداية لم يكن الطفل يتقبل الوضع الجديد وكان دائمًا يريد العودة إلى سيول حيث منزله القديم وحيث أبويه ولكن الرجل لم يكف عن المحاولة في جعله يحب الأجواء هنا، كان يلعب معه ويحاول أن يصنع له الأكلات التي يتحمس لها الأطفال عادة ولكن لم يجد أي استجابة، دائمًا كان الطفل يتحدث إلى الحائط أمامه وفي بعض الأحيان يلتفت حوله كأن أحدًا يناديه ولكن أبدًا لم يعبأ بتشانغ ومحاولاته.

- هيون وو، انظر ماذا أحضرت لك!

ألقى نظرة غير مبالية على السيارة اللعبة التي يمسكها تشانغ في يده مما خيب أمل الأخير وجلس على الأرض بجانبه ينظر إليه بحيرة، لا يعلم ما الذي يجب فعله ليخرج من هذه الحالة، عاش تشانغ طوال حياته وحيدًا فلم يكن له أولاد ولم يتزوج حتى، ظل بمفرده طيلة هذه الأعوام بعد أن فقد جميع عائلته على مراحل عمرية مختلفة، لا يعلم لمَ أصر على تبني هذا الولد، ليس لأنه وحيد مثله بلا عائلة، هو يعلم جيدًا أن هذا ليس السبب لأن تعاطفه معه لم يصل لهذا الحد، ربما قرر هذا ليصبح له ولدًا بعد كل هذه السنين ولا يحيا وحيدًا عندما يهزمه الكبر، لكن تلك المسئولية التي قرر تحملها تتطلب منه جهدًا كبيرًا كي يُخرِج الطفل من العالم الذي هو فيه ويعود ليعيش طبيعيًا كالآخرين، ظل يتأملَ وجهه الصغير وهو ينظر إلى الأمام بصمت دون أن يعيد النظر إلى السيارة حتى، تركها تشانغ بجانبه ودلف إلى المطبخ ليعد الطعام بينما نظر هيون إلى السيارة مرة أخرى وقلب نظره بينها وبين المطبخ ثم عادت عينه لموضعها من جديد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السادس من نيسان للعام ألف وتسعمائة وثمانية وتسعين، مرت سبعة أشهر على حادث والديّ هيون وو وقد توصل الرجل الذي وكله تشانغ أن يراقب الأوضاع في سيول أن مَن ارتكب الجريمة هو مساعد أحد منافسي والد هيون والذي كان يمتلك مصنعًا كبيرًا للأغذية وقد فعل هذا لأنه كان يريد أن يتخلص من والد هيون لينفرد بالسوق وترك القاتل هيون حيًا لأنه لا ضرر منه بعد الانتهاء من الأوصياء عليه وذهاب أموال والده في مهب الريح، احتفظ تشانغ بتلك الأخبار لنفسه ولم يكن ليخبر هيون وو بها خاصة بعد أن بدأ يعي الحياة الجديدة التي فُرِضت عليه وأصبحت معاملته له جيدة وللأطفال في المنطقة، يصبح هيون في وضع ممتاز عندما لا يجلس وحيدًا؛ لأنه عندما ينزوي في غرفته ينهال عليه الماضي بسهامه ويرفض التحدث أو الأكل، قرر تشانغ أن يمحي هذه الأخبار من ذاكرته أيضًا فيكفي ما عاشه الطفل من مأساة ولن يفيده السبب في شيء بل سيزيد عليه ما يكمنه في نفسه.

- انظر سيد بارك لقد استطعت ودو آه جمع الكثير من الثمار، إنها في هذه السلة.

- تقصد أنكما اشتريتما هذه الثمار؟

- لا، لقد قطفناها من الأشجار.

- ولكن هذه ليست أشجارنا يا هيون، هذه سرقة!

أخذ تشانغ يشرح لهما أنه لم يكن من الصواب أن يأخذا شيئًا دون استئذان صاحبه وعلمه بذلك وليشجعهما على عدم تكرار الأمر ذهب معهما إلى

المتجر واشترى لهما بذورًا ليزرعاها في حديقة المنزل وأخبرهما أنه يجب أن يعتنيا بتلك الأشجار لأشهر كثيرة حتى تينع وتعطيهم ثمارها مثل الأشجار الأخرى، كان هيون ودو سعيدين للغاية لاعتنائهم بالشجرة ودو آه تحضر ألعابها وتجلس بجانبها حتى تراقبها جيدًا، لقد كانت كيم دو آه تسكن في المنزل المجاور لمنزل تشانغ وهيون، تصغر هيون بعام واحد وهي ذكية جدًا ومرحة أيضًا كما يحبها الجميع، استطاعت دو آه بروحها المرحة أن تجعل هيون يخرج عن صمته قليلًا ويتحدث إليها وشيئًا فشيئًا يلعب معها حتى أصبحا أصدقاء وقد كان تشانغ سعيدًا بهذه الصداقة لأنه وأخيرًا وجد مَن يُخرِج الطفل من عزلته وأفكاره التي لم تنتهِ منذ جاء دايجون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انفتحت الخزانة ببطء مصدرة صريرًا عاليًا، لم ينظر للوراء وأخذ يتصبب عرقًا، لا يمكنه النظر إلى الخزانة وهي مغلقة ليلًا فكيف سيشاهدها وهي تنفتح من تلقاء نفسها، بدأ المذياع يصدر خشخشة مرتفعة وصوت ثلاث طرقات متتالية على الباب، قطعت الفيلم الذي يشاهده أصوات عالية غير مفهومة لا يعلم مصدرها ولكن يظن أنها تأتي من مكان ما حوله أو أسفله! ميز صوتًا من بينهم كان يحاول أن يقول شيئًا ولكن لم يصل حديثه للأعلى، خطوات على الممر الخشبي الذي يقبع القبو أسفله، اتجه هيون وو نحو الباب وهو يتلفت حوله يبحث عن تلك الأصوات التي أغدقت عقله بالكثير من علامات الاستفهام حول أصحابها، جاب المنزل بأكمله ولكن لم يعثر على شيء وقادته قدمه إلى الممر الخشبي الذي في نهايته باب القبو، كان يتجه إلى هناك بحذر ولا ينكر خوفه من هذه الهمهمات التي علت وتلك الصرخات من حوله، وصل لباب القبو الصغير الذي على الأرض وحاول أن يفتحه ولكنه ثقيل جدًا على طفل بالكاد تجاوز عامه السابع، لم يهدأ هيون وو وحاول مجددًا فتح الباب وعندما تمكن من رفع مساحة صغيرة منه رأى تشانغ يقف أمامه ويحدق به لبعض الوقت، لم يعرف هل هو غاضب أم سيسمح له بالنزول إلى القبو، قطع الصمت تشانغ وهو يتساءل بلهجة حادة:

- هل هناك خطب ما؟

أجاب الفتى بصوت مرتعش بعد أن ترك الباب يمحي مسافته التي رفعها:

- سمعت أصواتًا كثيرة تنبعث من كل مكان واعتقدت أنها من هنا فقد بحثت في المنزل كله ولم أعثر على شيء.

- لقد خُيِّل لك سماع تلك الأصوات يا صغيري، هيا تعال إلى هنا فباب القبو ثقيل عليك وقد يدميك إذا سقط على يدك.

قلب هيون وو نظره بين الباب الخشبي ويده ثم انساق لحديث تشانغ ونهض باتجاهه وعقله يتعجب كيف اختفت الأصوات التي كانت تعج المنزل بأكمله الآن، هل كان هذا تأثير فيلم الرعب الذي كان منكبًا عليه لأكثر من ساعة ونصف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انهال المطر الغزير على مظلة هيون وو القماشية ومعطفه الأسود، لم تكف السماء عن المطر منذ حوالي نصف ساعة، يوم عاصف آخر ولكن أكثر قوة من سابقيه، بدا الشارع مهجورًا من قلة قاصديه ومتاجره المغلقة، كان هيون عائدًا إلى المنزل ويتعمد السير ببطء كأنه ينتظر انتهاء المطر أو احتراق قلب تشانغ قلقًا عليه، وقد كان تشانغ في الآونة الأخيرة يقلق عليه كثيرًا حتى أكثر من قلقه عندما كان صغيرًا؛ فقد أصبح شابًا يافعًا الآن وقد يقرر تركه في أي لحظة، لم يتوقف عقله عن التفكير في ذلك رغم أن هيون لا يفعل شيئًا يوحي برغبته في ترك المنزل عدا الساعات الطويلة التي يقضيها خارجه في بعض الأيام، وصل هيون الشارع الذي يسكن فيه وقد رأى أضواء المنزل على مسافة فهو المنزل الوحيد الذي تنبعث منه الأنوار في هذه الساعة فعلم أن تشانغ لا يزال مستيقظًا ينتظره كالعادة، طرق الباب ولم تمر سوى لحظات وفتحه تشانغ ليحتضن هيون ثم دلف بصحبته إلى غرفة الجلوس، ابتسم هيون في وجهه وبدأ يمازحه:

- يبدو وجهك مشرقًا عكس الطقس بالخارج، هل أعددت لنا العشاء أم ستتركني أتناول الوجبات السريعة؟

- لقد أعددته يا ولد! ولكني أنتظرك منذ حل المساء، لقد تأخرت اليوم.

قال بلهجة مرحة وهو ينظر له بأسف مصطنع:

- آسف سيد بارك والآن يجب أن أقيِّم عملك في المطبخ لا وقت للحديث.

ضحك تشانغ وهو يتجه نحو المطبخ، لا يشرق وجهه إلا عندما يمتلئ هذا المنزل بصوت هيون وو ودو آه، وعلى ذكر دو آه تذكر أنها لم تأتِ إلى هنا منذ أسبوع فكتب ورقة تذكره بأن يذهب إليها ووضعها على حائط المطبخ الذي اعتاد كتابة الأوراق ولصقها عليه حتى يُذكِّر نفسه بالمهام التي يجب تنفيذها، أعد هيون وو المائدة بينما تشانغ يناوله الأطباق، جلس كلاهما يتناولان التيوكبوكي الذي يعده تشانغ بنكهة مذهلة وهو من الأطعمة المفضلة لهيون والتي تذكره بسيول كثيرًا، بينما يأكلان صدح صوت التلفاز تعلن المذيعة حالة اختفاء جديدة وهي الحالة العشرون للآن في شهر واحد، توقف تشانغ عن الأكل وهو يحدق للتلفاز وتحمل عينه نظرة حزينة، لاحظ هيون وما حدث

ورمق الشاشة بنظرة خاطفة ليرى صورة المفقود وعاد بنظره لتشانغ مرة أخرى.

- أرى أنك تحدق في التلفاز وتترك لي هذا الطعام الشهي، ألست خائفًا من أن أنتهي منه دون أن تحظى بشيء؟

لم يمحِ حديث هيون تلك النظرة التي اعتلت وجهه وعينه مستمرة في تعلقها بشاشة التلفاز، كان يقرأ المعلومات التي أدل بها الإعلام حول المفقود وهويته حتى ناداه هيون فوجه بصره له.

- أنا بخير يا بني ولكن هذا الوضع الذي آخذ في الانتشار لا يعجبني، هذه البلاد فقدت أمانها بعد حالات الاختطاف الواسعة تلك، صرت أخشى عليك من مغادرة المنزل، لم يرجع أي من المفقودين إلى الآن وحتى الحكومة لم تستطع العثور عليهم، يجب أن يُعاقب هؤلاء الخاطفون الذين يسلبون أبناءنا.

لم يعلق هيون وو واكتفى بنظرة مطولة لتشانغ سافرت به إلى ثنايا عقله والندم يفتك به، هو يعلم أن تشانغ لا يستحق منه ذلك وأنه لم يكن يريد أن يكبر الفتى الذي اعتنى به وأفنى عمره في تربيته ويصبح قاتلًا وسالبًا للأمان كما قال، ليس المسئول عن كل حالات الاختطاف تلك ولكنه أيضًا يشبه مرتكبيها تمامًا، نهض مسرعًا بعدما أخبره أنه شبع واتجه إلى غرفته ليهرب من مرمى بصره، أصبح النظر في عين تشانغ صعبًا خاصة وهو سبب الحزن الجلي على وجهه.

كانت الغرفة رمادية اللون التي تنتشر بها ملصقات لفرق موسيقية يحبها ودروع التايكوندو خاصته الموزعة على رفوف الحائط بجانب مكتبته الكبيرة كما تركها مرتبة لأن تشانغ لا يدخلها كثيرًا، تذكر هيون أن دو آه لم تأتِ منذ أيام وحتى لم تهاتفه، لا بد أن هناك سببًا قويًا منعها، لهذا في الصباح عليه أن يذهب إليها عسى أن يكون هذا السبب خيرًا، على الأقل لدو آه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الثاني عشر من آذار للعام ألفين وعشرة..

- هيون وو، انظر لتلك المفاجأة، لقد تمكنت من جلب الجيتار الذي أخذه غوي سيوك.

نظر لها هيون وو بعدم تصديق ونظرة لا مبالية ولكن ما إن وقعت عينه على جيتاره الأسود الذي تحمله في يدها وهي تركض نحوه حتى نهض وهو يهلل ويحتضنها، كان تشانغ يراقبهما من بعيد، ما زال الفضل لدو آه في مواصلة هيون وو لحياته بل والانغماس في وسط المجتمع رغم خوفه الكبير من البشر الذي يظهر جليًا عليه عندما يمشي في الطرقات ويتلفت حوله لأنه يشعر أن

أحدًا ما يراقبه، حاول تشانغ كثيرًا أن يعالجه من الرهاب الذي زرعه قاتل والديه داخله باصطحابه إلى أماكن مزدحمة أو أخذ دورات في كيفية التعامل مع العالم الخارجي والمتابعة مع معالجه ولكن هيون وو لم يكن يظهر تقدمًا بل كانت حالته تزداد سوءًا كلما زاد اختلاطه بالناس إلا دو آه التي استطاعت أن تخرجه من العزلة وخوفه حتى إن كان في وجودها فقط ولكنها أحرزت تقدمًا، كان ولع هيون الحقيقي بالموسيقى والجيتار، يمكث لساعات طويلة في العزف وتعلمه، أخذ غوي سيوك جيتاره منذ يومين ورفض إعادته، لم تكن شخصية هيون وو قوية بالقدر الذي يمكنه من أخذ جيتاره من غوي سيوك والذي كان قويًا وتخشاه المدرسة بأكملها، شعر هيون بالامتنان لدو آه على صنيعها هذا، لقد كانت دائمًا إلى جانبه يفعلان كل شيء معًا، لهذا كان يتصرف أمامها بشكل طبيعي ودون خوف عكس البقية، حتى أنها تعلم عنه الكثير من الأشياء التي لم يفكر حتى في التلميح لأي أحد بها سوى تشانغ.

- أنا لا أصدق أنني أحمله بين يدي مجددًا، كيف استطعتِ إقناع غوي سيوك بتركه؟

رجعت خطوة للخلف وهي تنحني بطريقة مسرحية وترفع يدها إلى الأمام قليلًا وقالت بفخر:

- لأنني دو آه، يمكنني تحقيق المستحيل إذا أردت.

ضحك هيون وهو يحتضن جيتاره ودلف مع دو آه إلى المنزل ليتدرب على عزف اللحن الجديد الذي أخذه من المعلم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ضربه على رأسه ليتمدد على الأرض ويصارع وعيه أن يبقى بجانبه ولا ينزلق الآن، كان يحاول جاهدًا أن يزيحه من عليه ولكنه لم يترك له المجال لهذا، كان يطبق بيديه على فمه ويربط يده بعنف، التقت أعينهما لدقيقة فكانت عينه ترسل شرارًا بينما الآخر يستغيث بما تبقى داخله من إنسانية وما زال يحرك جسده حتى وضع هيون الحبل على رقبته وظل يحدق في عينه لدقيقة دون حراك، تجمعت الأفكار داخل رأسه، بعضها تناسى كون صاحبها إنسانًا والبعض الآخر يفكر في تشانغ وأحداث قد مضى عليها الكثير، تجلت في عقله ذكريات البيت المحترق ورأس والده الذي كان والأرض سواء ودروس العزف على الجيتار والتي كانت دو آه في نهايتها تصفق بحرارة، وسط هذا لمعت في رأسه الصفعة التي تلقاها من معلم الرياضيات في صفه الثالث، ما زال الأول يحرك جسده ولا يدور في رأس مقيده سوى تلك الصفعة والضحكات التي تعالت من حوله وكلما علا صوت الضحكات استمرت يده بشد وثاق الحبل حول رقبته غير عابئ باحمرار عينه والهلع الذي ينبعث منها، حاول الآخر أن

يقاوم ولكن قدم هيون التي اعتلت بطنه والأحبال الموصدة حول جسده بالكامل يشدها هيون بكل قوته قيدت تلك المحاولة وسلبت ما تبقى داخله من أنفاس، أزاح هيون يده عندما توقف جسده عن الحركة ونهض من فوقه ليجهز أدواته، نقل الجسد الممدد على الأرض وجلب السكين الذي سخنه قبلًا ثم طبعها على صدر الجثة الأيمن، بعدها كتب على بطنه الثامن عشر من أيلول للعام ألفين وثمانية عشر، بعد الانتهاء من كتابة التاريخ بدأ بتقطيع الفخذ الأيمن وأصابع القدم اليسرى، بدءًا من ذلك الإصبع الأصغر والذي طالما ود لو يمحي أثره عن العالم، ألقى الأصابع في السطل بجانب الأذن التي قطعها مسبقًا، استغرق ساعات في تقطيع قدميه إلى أجزاء صغيرة ووضع كل كمية منها في أكياس ثم احتفظ بالجزء العلوي من جسده في المبرد وجلس يتفحص بنطاله الذي كان على الأرض، أخرج بطاقة الهوية من الجيب الخلفي: جونغ سان، تسعة وثلاثون عامًا، من سكان بوسان ويعمل كمهندس في دايجون، ترك بطاقة الهوية وتفحص بقية الأشياء ثم وضعهم في الحقيبة الخاصة بالرجل وغادر المنزل، في طريق عودته كان يضع أكياس اللحم تباعًا في كل صندوق قمامة يقابله في طريقه، كيسًا تلو الآخر وما إن انتهى من الأكياس حتى سلك طريقًا يعلم أنه مهجور وأشعل النار في الحقيبة التي بها أغراض الضحية باستثناء بطاقة هويته واتخذ سبيله إلى البيت تاركًا الحريق الناشب خلفه، مر بالسوق الخالي كعادته في هذا الوقت من الليل إلا من بعض القطط التي تركض وراء رائحة عربة الأسماك النتنة، كانت الكثير من الملصقات التي بللها المطر على الأرض والكثير أيضًا على الجدران وأعمدة الإنارة وحتى يافطات بعض المحلات القصيرة نوعًا ما، وقع نظره على لافتة حديثة تعلن عن فقد المهندس جونغ سان البارحة عقب خروجه من مقر عمله، أشاح هيون وو بنظره إلى الطريق الذي كان في نهايته منزل تشانغ والذنب الذي يظل يلاحقه بالنظر في عينه، نقر على جبينه بعدما توقف وتذكر أن غدًا ذكرى مولد تشانغ وقد نسي أن يبتاع له هدية، كيف سيعود للمنزل الآن!

ظل هيون يفكر في حل ولكن الشارع الصامت من حوله أجابه أن لا حل في هذه الساعة من الليل، فقرر أن يستيقظ مبكرًا ويذهب للسوق ليشتري له هدية أما عن الاحتفال سيحضِّر له كعكة قد تعلم طريقتها عبر الانترنت خصيصًا من أجل هذا اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صباح جديد متزاحمة على أبوابه الغيوم البيضاء الكثيفة والتي اختبأت بينها السماء المشرقة الزرقاء ولكن تجلى جزء منها يعانق السحاب أعلى شرفة هيون وو الواقف يتأمل السماء ويستنشق الهواء البارد الذي صاحبته نسمة صقيع تخللت عظامه وجعلته يتنفس بارتياح، سافرت عينه بين الغيوم الودودة

والأشجار الخضراء التي تنتظر أن تغدقها الغيمة وثمارها الحمقاء بكرم الشتاء الذي لا يتوارى، بينما يتابع هيون تلك اللوحة التي تشعل ماريونت قلبه الثائرة وتخرج لسانها للشمس التي يكرهها كثيرًا سمع صوت الطرق على الباب، ما زال للآن وبعد عشرين عامًا ترتجف أوصاله مع كل نقرة على الباب، هدأت رعشاته عندما صدح صوت دو آه فهبط الدرج إليها، كانت تحمل كعكًا في يد والهدية في يد أخرى وما أن فتح تشانغ لها الباب حتى هتفت:

- عيد ميلاد سعيد أجاشي!

ابتسم تشانغ وهو يعانقها ويسألها عن أحوالها الجديدة، كان هيون قد بلغ نهاية الدرج حينها، اقترب منهما وهو يصيح:

- أرى كعكة هنا، للأسف دو آه لم تحرزي هدفكِ هذه المرة لقد صنعت كعكة مكتملة الأركان.

- أنا أعلم أنك ستصنع واحدة اليوم لذلك أحضرت هذه تحسبًا لأي نكهة قد نتذوقها، اليوم ميلاد الرجل أسنفسده عليه؟

قذفها هيون بزينة الميلاد التي لم تُعلق بعد على الجدران، لأنهما يرتبانها كل عام معًا، ضحكت دو آه بعدما غطت الزينة شعرها ووضعت الهدية والكعكة على الطاولة وقابلت ثياب هيون وو بمجموعة أكبر من الزينة، كان تشانغ يقف في المنتصف ينظر بابتسام لهما، بدآ يعلقان الزينة على الجدران وباب حجرة المعيشة ثم وضعوا الكعكة التي صنعها هيون على الطاولة وبها شمعة صغيرة، هتفا بصوت عالٍ يغنيان لتشانغ الذي انتصفهما:

- مَن يصدق أنك أصبحت عجوزًا يا أجاشي!

- أي عجوز هذا، إنك بجواره تبدو أكبر من والده!

ضحك تشانغ وهو يحثهما على الكف عن الجدال وإحضار أطباق ليتذوقوا فنون هيون وو مع الحلوى، أحضرت دو آه الأطباق وهي تخبر تشانغ أن يتجهز لأي مفاجأة قادمة، كانا يضحكان وهيون ينظر إليهما بشر.

- دو آه، احرصي على نفسك فأنا معي سكين.

- أراهن بألف وون أنك تقدر على ذبح دجاجة أصلًا.

ضحكت دو آه وتبعها تشانغ الذي أخبرها أنه سيراهن بخمسة آلاف، بينما غاص عقل هيون وو في ضحكاتهم المتعالية والسكين التي يمسكها، لدقيقة انطلق بذكرياته إلى الدماء التي تغطي الغرفة وهو ينظر لهما بعدم فهم، كيف تكون هذه صورته في عقليهما، تلك الصورة البعيدة عن الحقيقة تمامًا، حدق هذه المرة في دو آه، تنتقل عينه ذات النظرة الحادة من رقبتها إلى وجهها الأبيض

المبتسم وشعرها الأسود القصير بنظرة أخرى حانية، دو آه صديقته المفضلة أو الصديقة الوحيدة التي امتلكها على الإطلاق، لقد تخطت هذه المكانة بالفعل وأصبحت واحدة من العائلة وتشانغ هو الأب الذي رافقه منذ الصغر، كيف لم يريا ذلك الوجه الحقيقي له بعد!

انتشل هيون من عقله صوت دو آه:

- أين ذهبت هيون وو؟ هل تخطط كيف ستقتلني بسكينك!

استمر المزاح بينها وبين تشانغ بينما توقف عقل هيون وو عند حديثها الذي لم يتحمله وتغيرت لهجته إلى لهجة آمرة حادة وهو يصرخ فيهما بكفى مما أقطب جبين تشانغ ودو آه وحملت أعينهما نظرات استفهام وتعجب قطعها هيون بابتسامة قصيرة وعاد ليغني لتشانغ من جديد متلاشيًا تلك الدقائق السخيفة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان صوته يعلو من بين صرخاتها الناتجة عن ضربه في قدمها وخصلاتها التي استقرت في يده، لم يعبأ بكل هذا واستمر في طرح كلماته المسمومة والتي تزيد فوق ألم جسدها ألمًا آخر، لم يكن يرى أن تلك الملقية على الأرض يصب عليها الإهانات صبًا كانت في يوم ما المرأة التي يحب، لم يرَ فقط سوى غضبه اللانهائي والغير مبرر كذلك، علا صوته أكثر وهو يهتف في وجهها:

- أخبرتكِ مرارًا أنني لا أود رؤية وجهكِ في هذا المنزل مجددًا لمَ تصرين على المجيء مرة أخرى؟

لم ترد كعادتها، تساقطت دموعها بصمت وهي ترفع نظرها في وجهه، لم تكن تعرف أين زوجها الذي عهدته وكيف انقلب الحال هكذا في يوم وليلة، قبل شهر واحد كانوا يعيشون في سعادة، أهذا هو الزوج الذي كان يحرص على خفض صوته أثناء المناقشة معها حتى لا تظن ابنته أنه عراك! لا يمكن أن يكون ذاته، لا بد أنهم استبدلوه بآخر، أكثر وحشية وتناسى كونه يملك قلبًا، اختبأت الصغيرة خلف باب الغرفة، يتسرب نظرها من وقت لآخر إلى الخارج لترى والدتها تبكي أرضًا من الضرب المبرح الذي تلقته، لم تستطع الفتاة التي لم تكمل عامها الثالث حتى أن تفعل شيئًا سوى التحديق برعب للجبل الواقف قبالتها ينظر إليها بعينين تبدلتا عن الأخريين اللتين كانتا تنظران لوالدتها، تراجعت للخلف وهو ما زال يقف عند الباب يطالعها بوجه غاضب وعينين حانيتين لم تعكسا موجة السخط التي بقلبه، كادت قدم الفتاة أن تُسقطها أرضًا من الاهتزاز والتراجع إلى الخلف، لكنه أنهى لهيب الفزع الناشب داخل عينيها الصغيرة بصفعه باب المنزل مغادرًا إياه.

ركضت الصغيرة باتجاه والدتها المتألمة وحثتها على النهوض وهي تحمل لها كوب الماء، ربتت المرأة على شعرها وقبلت رأسها ثم اتجهت إلى الغرفة ووضعت ثيابها وثياب الطفلة في الحقيبة وهي تبكي وتودع حجرتها، تنظر إلى كل ركن فيها وهي تستعيد فيه مشهدًا قديمًا، هنا حيث كانت تحمل دو آه وتهدهدها وهنا حيث أهداها يونغ العقد الذي أعجبها أثناء تنزههم وهنا حين كانت متعبة وأطعمها بيده واعتنى بها اليوم كله وهنا حيث أخبرها أنه مل حياته المليئة بالمشكلات معها، قطع استرسال ذكرياتها صوت الفتاة الهامس وهزاتها الرقيقة في طرف ردائها، حملتها وهي تغلق باب الغرفة وباب الحياة السابقة بأكملها، تقصد جهة لم ينكشف بها أي شيء ودو آه على كتفها تنظر للمنزل بوداع وتعانقه بعينيها فقد فطنت لما يحدث حولها وعلمت في قرارة نفسها أنها لن تلقاه مجددًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

نظرت إلى والدتها نظرة مطولة قبل أن تربت على شعرها القصير الذي لم تدعه يستطيل منذ عشرين عامًا أو أكثر وكذلك دو آه لم تترك الفرصة ذاتها لشعرها، كانت دائمًا تقصه أمام المرآة لتحظى بابتسامة نصر تُرسَم تلقائيًا على ثغرها، ربما لم يكن عقلها ليسعفها على تذكر الأمر الذي مر عليه الكثير لولا أنها لازمت والدتها ونحيبها المستمر حتى أنها كانت تتذكر التاريخ الذي غادرتا فيه حياتهما السابقة، كلما نظرت إلى المنزل الذي جعلها تفقد تفاصيل المنزل القديم من عقلها للأبد تتذكر ما لاقته هناك في بوسان والدموع التي ذُرِفت برعب وانكسار، حضرت الفطور لوالدتها وهي تبتسم لها، منذ حوالي عشرين عامًا أتت بها فارة إلى دايجون واستقرت في بيت استأجرته هنا، بحث عنها والدها كثيرًا ولم يتمكن من الوصول إلى مراده لا عن طريق جدتها ولا عن طريق بحثه الذي لم ينقطع طيلة عامين، لم تندم دو آه يومًا على ترك هذا الرجل والرحيل رغم أن والدتها مزقها الندم لمرات لم تحصِها، وبالرغم من تفاصيل البيت القديم المتهالكة في ذاكرتها إلا أنها تتذكر جيدًا أحداثه المبتسمة والباكية كذلك، فقط كانت تريد للأوضاع أن تنصلح وألا تسوء إلى هذا الحد، مر الكثير ولم ترَ وجه والدها عن بعد حتى، كانت تنتظره عند الباب مع صوت كل سيارة تمر، لكنه لم يأتِ وضاع الوقت في انتظار منقضٍ، لم تقصد أن تجلس لساعات أمام الباب تطالع مجيئه الذي لم يحدث وتشعل دموع والدتها أكثر، مر الكثير في هذه السنوات وكل ما مر كان سيلًا يجرف جزءًا من والدتها معه إلا أنها ظلت دائمًا صلبة أمامها، كانت عينيها معلقة على المنزل المقابل، منزل السيد بارك الذي اعتنى بها إلى جانب هيون وو كل هذه السنوات، أحيانًا تشعر أن هيون لم ينسَ كل ما شاهده كذلك، وإن كانت قد هربت من المنزل القديم بوالدتها فهو قد هرب من مدينته أيضًا ولكن بأيدٍ فارغة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ثانوية دايجون جوانجو، عام ٢٠١٢

قبل الكشف عن الستار بخمس دقائق كان هيون يتصبب عرقًا وهو يرتجف ببطء، حاولت دو آه ومعلم الموسيقى أن يهدآ من روعه قليلًا ولكنه لم يهدأ، فكرة أن يعزف أمام عدد من الناس هي فكرة مريبة، أصر هيون وو ألا يحضر الحفل ولكن المعلم أخبره بأن المدرسة تحتاج إلى هذا الحفل وهو عازف الجيتار الأمهر من بين تلاميذه وكذلك شجعته دو آه ولكنه يعلم جيدًا أنه لا يمكنه العزف أمام أحد وخاصة إن كانوا مجموعة كبيرة، بلغتهم مسئولة المسرح أنه تبقى خمس دقائق وعليهم أن يتجهزوا، ازداد الخوف في قلب هيون وو والجيتار يهتز في يده، فكر في الأمر وهو يحرك رأسه بالنفي.

- صدقوني الأفضل لي وللمعلم وللمدرسة ألا أخرج الآن ويراني الجمهور.

- يمكنك فعل ذلك هيون وو!

كان ينظر إليهم بأعين متوسلة، لا يمكنه فعل ذلك، إنه يرتعب فقط من الفكرة، كانت دو آه تعلم أن الأمر صعب عليه ولكن أخصائي العلاج الخاص به أخبرهم أنه يجب تعريضه لمناسبات اجتماعية كبيرة حتى تتحسن حالته قليلًا ويعتاد على التعامل مع الغرباء أو على الأقل عدم الخوف منهم، كان يتشبث بالكرسي كأنه قط مذعور يهرب من الماء، يعد الدقائق التي تمر قبل أن ينكشف الستار وتأتي تلك اللحظة المريعة، أعاد النظر إلى دو آه التي تقف أمامه وتحاول تهدئته وهو يتوسل إليها بعينه، لم يكن أمامه حل سوى الهرب، إن خرج الآن سيفسد الحفل بأكمله لأنه لن يُسمِع الجمهور سوى الصمت، نظر إلى البقية من حوله وهم يستعدون للفقرات التي ستُقَدم بعده، كانت فكرة سيئة أن يجعلوا فقرة الموسيقى أولًا، إن دو آه ماهرة في العزف على البيانو وحاول أن يقنعها أن تتبدل فعاليات الحفل الموسيقي للبيانو حتى تعزف هي فيه ولكنهم أصروا على الجيتار، ود لو لم يكن تعلم أي شيء في هذه اللحظة، انتشله من أفكاره المشرف وهو يأمر بفتح الستار ثم يدلف إلى المسرح بعدما حيا الجمهور:

سنبدأ فقراتنا اليوم بعزف موسيقي من أمهر عازفي ثانوية دايجون جوانغو على الجيتار، بارك هيون وو.

صفق الجمهور بحرارة في نفس اللحظة التي كانت دو آه والمعلم يدفعان هيون وو فيها للخروج إلى المسرح، ظل يحاول التشبث في الأرض ولكن لا مفر الآن، نظر نظرة أخيرة إليهما ومن ثم إلى الجيتار ثم همست دو آه له:

- أنا أثق بك وبمحاولاتك.

تقدم نحو الجمهور بصعوبة وهو يعانق جيتاره كأنه سيحميه من سهام الخوف التي تستقر في قلبه، حاول الابتسام وهو ينحني مرحبًا بهم ثم اعتدل ناظرًا للعدد الذي حوله، لا يعرف منهم سوى القليل، الكثير من الوجوه الغير المألوفة، الكثير من الغرباء، لوح له تشانغ الذي كان في الصف الثاني وصفق بحرارة حتى صدح صوت تصفيقه المنفرد في المسرح، بادله بابتسامة مرتجفة وأشاح بنظره إلى الجيتار وهو يحاول العزف بينما العرق يزداد تصببًا، مرت دقيقتان ولم يُقبِل على أي خطوة جديدة غير التحديق في الجيتار تارة وفي الجمهور تارة أخرى، شعر أنه في حلبة مع الخوف الذي ظل يصارعه أعوامًا والخطوة بينهما الآن هي صوت واحد فقط يصدر من الجيتار، نظر خلفه ليقابل وجه دو آه التي أشارت له ب « لا»، كانت تعلم أنه يريد الانسحاب ولكن هذا سيعرضه ويعرض المعلم والمدرسة لإحراج كبير، أعاد هيون وو مسك الجيتار بإحكام وتتصاعد في عينه ألسنة اللهب المشتعلة، تراجع برعب خطوة إلى الوراء؛ أكان المسرح يحترق للتو! حاول أن ينفي تلك الأفكار عن عقله بينما ازداد ضجيج الجمهور المتسائل عن عرض الموسيقى المزعوم، قرر هيون وو أنه لن يضع معلمه في هذا الموقف وبدأ يعزف بأصابع مرتشعة وكلما علا صوت العزف كلما هدأ الجمهور وكفوا عن صياحهم وتساؤلاتهم، ابتسمت دو آه والمعلم من خلفها ينظر إليه بفخر، صب هيون وو تركيزه على كل ما تعلمه طوال السنوات الماضية في العزف وأخذ صوت عزفه في الارتفاع حتى توقف وهو يرى السكين التي فصلت رأس والده أمام ناظريه، سقط الجيتار من يده على الأرض ويبدو أنه لم يسقط كما كان، تنحى هيون عن الضوء بخطوات متقهقرة تاركًا المسرح بأكمله وسط تعجب الجميع وتصفيق البعض الذي بدأ يعلو مع ركض هيون وو عن المسرح، ركض حتى وصل إلى غرفة الموسيقى واختبأ في الغرفة مغمضًا عينه ويحاول نفض أي أفكار عن عقله.

حاول المشرف أن ينقذ الأمر وقدم العرض التالي بعد أقل من دقيقة ليتناسى الجمهور ما حدث في بداية الاحتفال، غادر المعلم كواليس المسرح مع دو آه متجهين إلى غرفة الموسيقى التي بالتأكيد يجلس بها هيون وو، دلفت دو آه للغرفة لتجده يجلس في زاوية وينظر إلى المرآة، نظر لها قليلًا ثم عاد ليطالع وجهه في المرآة مرة أخرى، لا يعلم أهو غاضب منها أم يود الاعتذار ولكنه أخبرهم مسبقًا أنه لن يستطيع، أصر المعلم على هذا من أجل الحفلة أما دو آه فأصرت من أجل العلاج السلوكي، فلتذهب الحفلة والعلاج السلوكي إلى الجحيم إن كان عليه تكرار مثل هذه الأمور لأجلهما، بدأت دو آه الحديث تحاول أن تعتلي ثغرها ابتسامة عريضة:

- لقد كنت مذهلًا اليوم، ألم تسمع تصفيق الجمهور؟ ليس بالضرورة أن يستمر عزفك لساعات، الدقائق التي عزفت بها أعجبت الجمهور بغض النظر

عن أي شيء آخر قد حدث، لقد فعلتها يا هيون وو والمرة القادمة..

قاطعها بلهجة حادة وعينين غلب عليهما الانفعال:

- لا توجد مرات قادمة، لن أعزف أمام أحد مجددًا!

كانت هذه المرة الأخيرة التي يعزف فيها هيون وو على جيتاره الذي تضرر جراء سقوطه والمرة الأخيرة كذلك التي يجلس بها في غرفة الموسيقى..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يركض بأقصى سرعة لديه غير عابئ بآلام جسده، قد مزقت هذه السرعة أنفاسه المتلاحقة وهو يركض فقط وينظر خلفه من حين للآخر، يطمئن قليلًا عندما يرى أنه خلفه ويشتعل رأسه عندما لا يلتقطه مرمى بصره، فلدغة الثعبان المخفي تظل أقوى بكثير من ذلك الذي تبصره أمامك وتتهيأ لسُمه، واصل الركض والالتفات حوله حتى بلغ نهاية الطريق، الهاوية كما يسمونها، ظهر الرجل من جديد، أصلعًا ويحمل رأسه نقوشًا عدة، تضخم ليحجب الرؤية خلفه ثم حمل جسده كأنه نملة في يده وكان على وشك عصر رقبته مثل القماشة البالية لولا أن أوقفه صوت تشانغ..

- هيون! ما بك يا صغير؟ استيقظ هيا!

فتح عينيه ليقابله سقف الغرفة ووجه تشانغ القلق، بعد دقيقة قد تيقن أنه حلم سخيف آخر من سلسلة الأحلام التي باتت تراوده في الآونة الأخيرة، كان تشانغ ينظر إليه وتحيطه علامات الاستفهام، سأله بعينه إن كان كل شيء بخير فأومأ هيون ببطء ثم شرب بعض الماء.

- أيمكنني الجلوس معك وأنت تواصل عملك؟

صمت تشانغ لثوانٍ ينظر إليه دون إصدار أي رد فعل ثم هز رأسه وهو يحمله ليذهبا إلى مكتب تشانغ الذي كان قريبًا من غرفة الجلوس، تشانغ طبيب الجراحة في مستشفى المدينة العام وأمهر المسيطرين على غرفة العمليات أثناء حالاتها الحرجة، كان مكتبه يمتلئ بالهياكل العظمية وصور تفصيلية عن التشريح لبعض الأجزاء من جسد الإنسان والعديد من الحيوانات المحنطة التي حاز عليها كهدية من كبار الأطباء في المؤتمرات العدة التي حضرها، دلف مع هيون إلى غرفة المكتب والتي تكون إضاءتها منخفضة في العادة كما يحب تشانغ ولكن رفع الإضاءة قليلًا اليوم من أجل الصغير الذي سرعان ما ركض تجاه الصور التشريحية يتأملها ويتفقد أحد الهياكل، لم يكن مسموحًا لهيون بالبقاء في المكتب من قبل بسبب وجود أوراق مهمة تخص تشانغ وأبحاثه، لذلك كان هيون متلهفًا لاكتشاف الغرفة بأكملها بالطبع مع تحذيرات تشانغ بالحرص على عدم المساس بأي ورقة، لاحظ الأخير أن الفتى سكن

وقتًا طويلًا أمام الصور التشريحية والهياكل يتأملها دون خوف أو اشمئزاز ويقرأ المعلومات المدونة تحتها سواء من علماء كبار أو التي كتبها تشانغ بنفسه.

- أرى أنك قد تعمل معي في المستشفى بعد سنوات عدة.

نظر له هيون وابتسم بشغف فأردف قائلًا:

- إن كانت لديك أسئلة فأنا هنا.

- ربما ليس اليوم، أشعر أن عقلي لن يعي الإجابات، سأجهز الأسئلة وأطرحها عليك في وقت آخر.

- لا يبدو حديثك أن مصدره فتى صغير، لقد كبرت هيون وو.

لم يعقب هيون وأكمل رحلة عينه بين اللوحات والمعلومات التي أمامه وهو ينظر إلى تشانغ الذي سرعان ما سقط بين أوراقه يطالعها ويكتب شيئًا في أوراق أخرى، كان يرتدي نظارة أخفت عينه السوداء الحانية، يتساءل كثيرًا عن السبب الذي لم يجعل والده وتشانغ أصدقاء رغم أنهما قطنا في نفس البناية ونفس الطابق، ربما يعود الأمر لعدم وجود زوجة مع تشانغ تتعرف على والدته وتصبح العائلتان على وفاق، لكنه مبرر غير كافٍ للأمر خاصة أن والده كان اجتماعيًا، ربما يفسر الأمر عزلة تشانغ الذي لم يكن يرَه في أوقات كثيرة ومن المعيشة معه عرف السبب؛ إنه عمله الدائم والذي باستثناء قضاء القليل من الوقت مع هيون لا ينشغل بغيره، أكمل تفحص الغرفة بعينيه، كان يريد أن يطالع المكتبة أيضًا ولكن تشانغ أخبره أنها كتب قيمة بعضها عن التشريح والبعض الآخر عن علوم النفس ومعلومات أخرى متنوعة، قد ظن تشانغ أن هذه الكلمات قد تجعله يعزف عن المكتبة ولكن زاد الفضول والشغف داخله أن يتفحصها جيدًا..

بعد حوالي ساعتين كان تشانغ قد انتهى من تقاريره ووجد أن النوم هزم هيون وو على الأريكة المقابلة لذلك أغلق النور وباب المكتب وحمل الفتى إلى غرفته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان لحن شيطان البيانو الشهير فرانز ليست «سنوات الهجرة» يصدح في مسرح مركز دايجون للفنون بأكمله، تحيي ذكراه تلك الأيدي الناعمة التي تتراقص على البيانو وتعتلي خشبة المسرح بابتسامة هادئة ترمق الجميع، من خلفها تتراقص أربع فتيات على نغمات البيانو واللاتي قد تدربن عليها مسبقًا، صبت جل تركيزها على المعزوفة التي تحبها كثيرًا وتحب صاحبها أكثر ومما بدا على وجه الجمهور المتحمس لمزيد من موسيقاها أنهم أحبوهما أيضًا،

جلس في الصف الأول مستمتعًا بعزفها المتميز وهو يبتسم لها من حين لآخر وتظلل المشهد ستارة المسرح التي انكشفت عن آخرها وأرضيته البنية واللوحة التي اعتلته تحمل صورة دو آه على البيانو يجاورها اسم المعزوفة الشهيرة، كانت دو آه تحب البيانو كثيرًا حتى أنها أصرت أن تشتري واحدًا في منزلها وقد ساندها معلم الموسيقى في عزفها إلا أن صارت تقيم حفلات منفردة في مسرح المدرسة والآن مسرح دايجون، ولا ينسى هيون الحفلات التي تقيمها في منزلها وحدها مع البيانو الخاص بها، لطالما تشاجرا بسبب عزفها في ساعات الليل المتأخرة وتنغيص نومه ولكنها كانت مشاجرات صورية يفتعلها هيون وو ليقترب من مصدر العزف أكثر، كثيرًا ما كانا يعزفان معًا كل منهما على آلته تحت أنظار المعلم وتصفيقه، لطالما كانت الموسيقى نقطة الالتقاء الأقوى بين دو آه وهيون وو.

انتهى العزف والتصفيق يعلو أكثر، امتلأ المسرح بعيون تتابع البيانو ونغماته بابتسامات كثيرة أصبحت همسات عندما انتهت دو آه وصدح التصفيق، حيّت دو آه وفرقة الباليه الراقصة الجمهور ثم بدأ الستار ينغلق ببطء ويغادر الجميع كذلك، صحب هيون وو والدة دو آه إلى خارج المسرح وهما مبتسمان ينتظران دو آه التي خرجت مثلهما مشرقة الوجه يتبعها العديد من الشغوفين بعزفها لإحدى المقطوعات الأشهر في تاريخ البيانو، احتضنت دو آه والدتها التي ساعدتها كثيرًا حتى تعتلي مسرح دايجون وتصبح إحدى عازفيه الماهرين إن كان بالذهاب معها إلى حصص الموسيقى خارج المدرسة وتشجيعها على الاستمرار في تلك التي بالداخل أو التصفيق لها بعد كل عزف في المنزل والالتزام بحضور مسابقات العزف التي كان مركز التدريب يعدها بين المشاركين كل ثلاثة أشهر والجدير بالذكر أن تلك المسابقات لم تكن دو آه تفوت فرصة الاستحواذ على جوائزها، كانت نظرة هيون وو لا تقل فخرًا عن نظرة والدتها، طالما أحب البيانو بسبب عزف دو آه وألحانها التي تارة هادئة وتارة صاخبة، كان يود دائمًا لو لا يكف عن التصفيق لأصابعها المتراقصة على البيانو بإتقان والابتسامات المنبعثة من الألحان.

- الآن يجب أن نحتفل بنجم مركز دايجون للفنون الصاعد.

ضحكت دو آه ووالدتها واتجهوا جميعًا لشراء المثلجات والجلوس على حافة النهر.

جلسوا على النهر الذي كان يبتلع شمس اليوم في كنفه، تأمل هيون وو السماء المستمرة في احمرارها واستنشق هواء الغروب المفعم بنسمات رقيقة تلوح للأحمر الذي ينجلي مُتبَعًا بليل أسود، كانت دو آه ووالدتها قد غرقتا في أحاديثهما عن الموسيقى وطلاء البيانو الجديد الذي ستنفذه دو آه،

مالت الأفكار في رأس هيون مع تمايل النسمات من حوله واندفاع سيل الذكريات..

خطوات متوترة إلى الداخل، يلتفت حوله للغرفة البيضاء التي تنتشر بها أصيصات الزرع وصور للعديد من العائلات المبتسمة والشمس تخترق نافذتها، جلس على الكرسي أمام المكتب وأعاد النظر مرة أخرى للغرفة بتفحص سريع لبابها الأزرق وأرضيتها البيضاء بينما صدح صوت خطوات في الممر، دلف رجل في منتصف الخمسينات مبتسمًا ثم جلس أمامه، أخذ يحرك يده بتوتر وهو ينظر له بين الحين والآخر وهذا الرجل ما زال مستمرًا في التحديق إليه بابتسام حتى قال بهدوء وهو ينظر في عينه:

- ما رأيك أن نشاهد بعض الصور وتخبرني أي منها أعجبك؟

لم يصدر رد فعل وظل ينظر له لبعض الوقت حتى أردف قائلًا:

- هذا مهم بالنسبة لي، افعل هذا من أجل صديقك.

- لكننا لسنا أصدقاء!

- يمكننا أن نكون..

صمت مجددًا ولم يعقب بشيء، بينما أخرج الطبيب صورًا من الدرج وعرضها عليه، كان يضع كل صورة على الطاولة أمامه ثم يراقب ما يفعله عند النظر إليها، بداية من تصرفه عند رؤية وجه تشانغ إلى رؤية العديد من الوجوه الغريبة والكوارث مثل غرق شخص أو حريق كبير، عندما كان يرى صورًا لأناس غرباء كان لا يهتم عادة بالنظر إليهم مرة أخرى وأحيانًا كان يشيح بنظره أمام بعض الملامح القاسية كرد فعل سريع، لم يبدِ أي فعل أمام غرق رجل، لكنه شعر بالذعر وانتفض عند رؤية صورة لحريق ناشب في مركز تجاري، أعاد الطبيب الصور لدرج المكتب مرة أخرى ثم نظر له لبعض الوقت يتأمل الوجه الصغير الذي تغزوه حبات العرق وينكمش جسده على الكرسي أكثر وأكثر مع ازدياد تحديق الطبيب فيه، أخرج حلوى من حقيبته ومد يده له بها، نظر الطفل للحلوى لوهلة ثم أعرض عنها بوجهه.

- أول خطوة لنصبح أصدقاء أن تقبل تلك الحلوى.

صمت هيون كعادته من بداية الحديث، لم يكن يثق بالطبيب الذي يعد من الغرباء الذين يخشاهم، يشعر بغصة كلما سمع صوته لكنه وعده بأن لقاءاتهما ستكون قليلة إن تمكن هيون من التحسن واتباع كل النصائح، مضت الأيام شهرًا وراء الآخر وسنة وراء الأخرى ولم تقِل أبدًا تلك اللقاءات بل ازدادت وازداد معها شعور الخوف الذي يحمله هيون وو وفشله الدائم في الالتزام بتعاليم طبيبه في حياته اليومية.

عاد بذاكرته على صوت دو آه المتسائل:

- هيون وو، ما بك؟

نظر لها قليلًا وكأنه لا يعي أن كل هذا مر في تلك الأعوام، بالأمس كان ولدًا صغيرًا يختبئ خلف أقدام تشانغ وهو يتطلع إلى محيطه بذعر ولكن اليوم لا قدم يضعها بينه وبين العالم ولم يصبح ذلك الطفل الذي يركض خلف والده في كل مكان، كيف مرت السنون سريعة إلى هذا الحد؟ لم يعد يعتلي كتف تشانغ عندما تتعبه الحياة وأناسها، كانت الرحلة طويلة في هذه المدة بين كفي أجاشي وحائط الممر في المدرسة الذي كان يحتمي فيه عندما يصرخ المبنى بالتلاميذ والمعلمين، كان يكره دائمًا كونه الطفل المرتجف من أبسط الأمور، مثل أن يربت أحد ما على كتفه، عندها كان ينتفض مذعورًا كالعصفور الذي التقطت عينه بندقية أسفل عشه، سافر عقله بتلك الأفكار إلى محل آخر غير الذي تجلس فيه دو آه وتنادي عليه دون رد أو حتى إشارة صغيرة من عينه بأنه يسمعها أو يسمع العالم الذي حوله من الأساس.

- هيون وو، أرجوك أنا أحتاج مساعدتك، لا يمكنني القيام بهذا وحدي، يجب أن تتجاوب معي قليلًا وتثق أنني سأتمكن من فعل هذا.

- لكنني لا أثق بك.

- يمكننا دائمًا البدء مرة أخرى، وفي هذه المرة حاول أن تثق بي، ليس أمامنا شيء لخسارته، أنا معك إلى أن تصبح نتائج جهدنا ممتازة.

كان الطبيب يحاول أن يخفي نتيجة هذا الجهد على هيون وو رغم أنها نتيجة إيجابية وقد يضعها كهدف ولكنها أيضًا يمكن أن تصبح عائقًا وتحديًا لكل الأشياء التي يفضلها وهذا تحديدًا ما لم يرِده، لأن هذا سيجعله لا يتصرف بشكل طبيعي وإنما سيتعامل مع الأمر بمنافسة تجعله يخسر أكثر مما قد يكسب وقد أوصى تشانغ الطبيب أن يشجع هيون وو على أي خطوة يقوم بها سواء خطوة جيدة أم لا، أصر الطبيب أن هذا الأسلوب سيفسد الأمر أكثر وسيجعله مدللًا وقد ينقلب الأمر إلى هوس بحب الذات، راح عقله إلى ذكريات المسرح الذي تركه في منتصف العزف وهرب تاركًا خلفه جيتارًا مكسورًا وآمالًا محطمة، تذكر الندوة التي أخبره المدير قبلها بيوم واحد عن العدد بها ولم يستطع النوم ليلتها لمجرد تخيله أن كل هذا العدد سيراقبه وهو يقدم نفسه فلم يذهب ذلك اليوم إلى المدرسة واتصل بالمدير يعتذر له عن عدم الحضور، لم يعرف في هذا الوقت إلى متى ستظل أعين الجميع وثغورهم تخيفه هكذا!

أفاق هيون وو من غياهب عقله على رأس دو آه الذي مال على كتفه واستقر مجرى بصرها نحو النيل الهادئ بعدما يأست من أن يصحو من غفلته تلك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان لانتهاء الحرب العالمية الثانية ومغيب شمس دول المحور التي أودت بها الحرب وضغط دول الحلفاء آثاره التي أدت إلى جلاء الامبراطورية اليابانية عن الأراضي الكورية وتقسيم تلك الأراضي الذي نتج عن حرب أهلية بينهما عُرِفت بالحرب الكورية وحرب الخامس والعشرين من يونيو في كوريا الجنوبية، انفتحت أبواب الحرب على مصراعيها باعتداء الكتلة الشمالية من كوريا على الجنوب لتحقق الاستقلال، ساعدت الصين الكتلة الشمالية بشكل كبير لتعوض خسارة الحرب الصينية اليابانية في القرن التاسع عشر والتي أدت لبقاء اليابان في شبه الجزيرة الكورية وأيضًا لتُظهِر حكومتها التي قد وارتها الحرب العالمية الثانية بظهور قوات الحرب البارزة، وكما دعم الاتحاد السوفيتي هذا الهجوم ولكن بشكل ضعيف، وعلى الجانب الآخر كانت كوريا الجنوبية تدعمها الأمم المتحدة والتي تتألف قواتها من قوات أمريكية إلى جانب انضمام قوات أخرى للطرفين، كانت الحرب وحشية أودت بالكثير من الشعب الكوري ولم يصل الصراع الذي بدأ في عام ١٩٥٠ إلى حل ليومنا هذا وقد انتهى بوقف إطلاق النار في السابع والعشرين من يوليو للعام ١٩٥٣ لتظل القطعتين على انفصالهما الذي أدت كل مساعي جمعه بالفشل على مر السنوات، وفي نفس السنة في الخامس عشر من أغسطس، ذكرى يوم استعادة النور «يوم التحرير الوطني» في كوريا بأكملها، تحديدًا في كوريا الجنوبية كانت الاحتفالات تشتعل في الشوارع والأغنيات الوطنية يصدح صداها في الأرجاء، وفي تلك الأجواء المتوترة عقب انتهاء الحرب والاحتفالات التي تقام على الذكرى الثامنة للتحرير علا صوت صراخ طفل في أحد منازل العاصمة سيول، غطت صرخاته على تأوهات الأم التي لم تنقطع، دبت الحركة في المنزل الكبير، الكل يركض لجلب الأغراض التي يطلبها الطبيب حتى توقفوا جميعًا ينظرون للمولود بحنان بالغ، غزا العرق وجه هي جين المتعب وهي تنظر للطفل وتحاول أن تحمله بينما تنغلق أعينها ببطء، وفي هدوء حملته وهي تقبله وتربت على رأسه الصغير، أخذت أختها الطفل وأعادته لفراشه الصغير عندما عادت عين هي جين لغفلتها من جديد وهي تنغلق بوهن.

مرت هذه الذكريات التي قصتها الجدة في عقل تشانغ سريعة، تسعة عشر عامًا مرت على هذا اليوم الذي امتلأ بوجوه مبتسمة مرهقة تركض باشتعال في المنزل بأكمله لتتم عملية الولادة وما بعدها على خير، لطالما أخبرته جدته عن والده وذلك الحب الذي كان يحمله ليوم التحرير ويحب الاحتفال به وإن كان معهم وقت ولادته لما كان لفرحه مقدار، مرة لمجيئه ومرة ليوم

المجيء، من بين ذكريات المدرسة والليالي التي كان يجالس فيها جدته لتقص عليه أنباء السنوات المريرة التي عاشوها أثناء الحرب وما قبلها لاح أمامه وجه والدته التي فقدت حياتها إثر حادث طريق منذ عامين، رغم أن ما حكته جدته من مأساة قد جعل الهلع يُصَب على عقله عند تخيل حدوثه ورغم والده الذي كان ضحية تلك الحرب قبل أن تضع أوزارها، لكن أثر هذا الحادث ترك في نفسه ما هو مروع أكثر من ذلك، شعر باليتم الذي لم يدق بابه أبدًا حتى وهو لم يرَ والده قبلًا، كان فقد هي جين بمثابة فقد عظامه التي تمكنه من الوقوف والمشي، شعر للمرة الأولى كم هو وحيد في هذا العالم، حتى الجدة لم تملأ المكان الشاغر الذي خلفته هي جين ورائها ولم يستطع أحد أن يجفف الدماء التي انسكبت من عينه بغزارة بعد الحادثة.

تتراقص الشمعة على أحبال نسمات الهواء المنسابة من النافذة، دائمًا عندما يجلس في الشرفة يشعل الشمعة التي يهزم الهواء لهيبها خاصة في الليل، كان يذاكر من أجل امتحان القبول في الجامعة والذي لن يتركه حتى تسنح له الفرصة بالنجاح ودخول الجامعة كطبيب ولن يتنازل عن هذا، وضع العديد من الكتب والأوراق على الطاولة أمام الشرفة، بعض الأوراق قد انهال عليها بقلمه يخط بها ملاحظاته وتلخيص بعض النقاط، أمسك بالقلم وهو يظلل بعض الكلمات الهامة ثم غاصت عينه في زرقة السماء الليلية ونجومها اللامعة التي تكاد تختفي من سماء المدينة الملوثة بالغبار، غرق بعينه فيها وفي نور قمرها الساطع الذي طالما مقته، عبرت نسمة هواء باردة تداعب رقبته وهو ما زال يحدق للأعلى على النجوم المخفية، مر أسبوع على انتحار صديقه بسبب الضغط الذي تعرض له من عائلته بإلزامه على اجتياز هذا الاختبار، منذ حوالي أسبوع زاره في الليل وقد كانت زيارة سريعة تعجب لها تشانغ، أعطاه ورقة صغيرة أخبره ألا يفتحها الآن.

- ولكن متى سأفتحها؟

- لن تحتاج أحدًا ليخبرك، ستعرف بنفسك.

ثم تركه وذهب بحجة أن الوقت قد تأخر ليغوص تشانغ في الورقة والفضول الذي يحاول كبحه يدفعه إلى فتحها، وفي نفس الليلة كان قد أنهى الفتى حياته عن طريق شرب السم وعرف تشانغ في الصباح، حينها فهم ما كان يشير إليه وفتح الورقة بحزن قد بدا جليًا على وجهه وجسده الذي فقد رفيق كتفه ورفيق الليالي الطويلة والنحيب المتزايد في كل فترة تعليمية وصديق مباريات الكرة والاحتفالات والأعياد، كان يخبره في الرسالة أنه يحبه للغاية ويحب عائلته كثيرًا وأنه لا يلومهم على أي شيء ولكنه لم يعد يتحمل تلك الاستعدادات والضغوط التي تخبره أنه إن فشل هذه المرة سيظل لبقية عمره فاشلًا وسط العائلة والمجتمع الذي يشبههم أيضًا؛ لا يرحم مَن هو أقل

من ساداته تعلمًا وثقافة، أخبره أيضًا أنه كان يحلم بأن يجعل لتلك العائلة مكانة رفيعة عن طريقه وتعليمه ولكنه أخفق في هذا الهدف، انتهى تشانغ من قراءة الرسالة وتحررت دموعه من مقلتيه، بات الآن وحده، لا يمتلك كتفًا يميل برأسه أعلاه ولا يدًا تمسح قطرات قلبه المندفعة كالسيل، لم يتبقَ إلا الجدة التي ظلت بجانبه كل هذه المدة تواسيه وتغدق عليه من حنانها، انتقلت للعيش معه حتى ينتهي من الاختبار اللعين هذا.

- أنا أعلم أنك ستحصل على العلامات التي تريدها ولن يقوى هذا الاختبار على هزمك يا بني، تشانغ سيصبح طالبًا جامعيًا في سيول الوطنية بلا شك.

كانت عينه تلمع مع كلماتها الحنونة والتي حملت بين طياتها لهيبًا يدفعه لهزيمة هذا الاختبار دون أي شفقة، كان يستطرد دائمًا بابتسامة:

- وطبيبًا يا جدتي.

- وطبيبًا يا تشانغ.

أمضت عينه نصف الوقت بين الكتب تطالع معلوماتها الدفينة وتخزنها في عقله بإحكام، لم تغِب كلمات الجدة عن عقله وكانت الحافز الذي يجعله لا يغفل عن تحقيق هدفه، لاح أمامه وجه صديقه، إن كان هو قد ذهب بسبب ذلك الامتحان فلن يسمح أن يحزن لأن نفس الاختبار قد هزم تشانغ حيًا وهزمه ميتًا، لم تنقطع مذاكرته يومًا ولم تنقطع الجدة عن دعمه كذلك، فعل تشانغ كل ما يمكن فعله حتى دق موعد الامتحان أبوابه ليعلن قدومه، وعلى عكس الكثيرين لم يكن تشانغ قلقًا بالقدر الذي ظهر على وجوه الجميع فهو يثق بأنه اجتاز الاختبارات قبل تأديتها حتى وقد ظهر هذا الهدوء على قلمه أثناء الاختبار ونظرة الرضا التي عقبت إنهاءه.

مر الشهر سريعًا بين تجهيز أوراق الجامعة وما سيحتاجه لها والتنزه في كل أنحاء المدينة حتى جاء اليوم المقرر إعلان النتيجة فيه وقد تبدلت الطمأنينة التي سكنت قلب تشانغ قبلًا إلى قلق وخوف، أمامه بضع ساعات فقط ليعرف المصير الذي سيواجه، لن تتحمل قواه عامًا آخر يستعد فيه لهذا الاختبار فقد أنهكت قواه بالفعل ولن يتحمل أن يمنعه الرقم الذي حصده من أن يدخل إلى الجامعة ويصبح طبيبًا كما تمنى لسنوات، أصبح الطريق القريب إلى المدرسة طويلًا بقدر القلق الذي حل على قلب تشانغ وقدمه، يريد أن يتراجع لكي لا يرى حصاد أعوام تعليمه السابقة إن لم تكن مثلما رتب، ولم يكن هناك متسع من الوقت والاستيعاب لأن يحدث شيء غير الذي عهده في مخيلته وجهز له، بلغ أبواب المدرسة وهو يرى البعض يخرج باكيًا والبعض صامتًا والبعض الآخر يرقص فرحًا، لم يعرف أي المصائر سيقابل عندما يخرج وإلى أي تلك المجموعات سينضم، قرر إنهاء تلك الحيرة وهذه التساؤلات

التي تفتك بعقله وكشف هذه النتيجة أمام ناظريه، ولكنها لم تخيب آماله ومخططاته، خرج يبكي ولكن فرحًا، ينظر إلى الورقة وهو لا يعي أنه فعلها بحق، لقد دقت نتائجه أبواب جامعة سيول الوطنية، ظل يبتسم وعينه تغدق على وجنتيه بكثير من الدموع التي اختلطت بفرحه بالنتيجة وحزنه على والدته وصديقه اللذين لم يتمكنا من مشاركته هذا الحدث، أسرع عائدًا إلى المنزل وقد بدا الطريق أقصر مما هو عليه، انهال بالطرق على باب المنزل لتفتح جدته قلقة فتقابلها ابتسامته الواسعة، احتضنها بفرح ظهر على صوته:

- لقد جاء طالب جامعة سيول يا جدتي، جاء ولدكِ الطبيب.

ظل هذا اليوم محفورًا في ذاكرة تشانغ دائمًا، يغزو عقله عندما تقتحمه الذكريات الباكية ولا يعود يتذكر سوى التحاقه بكلية الطب في جامعة سيول الوطنية، ذلك الحدث الذي جعله ينظر للمرآة بفخر دائمًا ولكن تخلل هذا الحدث رحيل جدته وآخر ما تبقى بين يديه، باتت تلك اليد مبتورة الآن وظهرها محني لا يقدر على الوقوف بعدما غاب عنه الساعد والمربت عليه وأكمل صاحبه بقية الرحلة وحيدًا يرفض التشبث بأمل آخر كي لا يغيب ذاك الأمل ويعود قلبه لينفطر مجددًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تنهمر الأمطار على زجاج السيارة البائسة التي تقف أسفل البناية تنظر إلى شقة صاحبها المضيئة، قطع صوت الرعد السكون الذي غطى الشوارع، أحكم إغلاق باب الشقة الأبيض وهو يسحب الجسد الممدد داخل غطاء بلاستيكي إلى منتصف الغرفة، رفعه بعدما نزع الغطاء عنه إلى الطاولة وأوصد اليدين والرجلين ثم اتجه إلى المطبخ وهو يغني بسعادة، وضع الهاتف أعلى دولاب المطبخ لتصدح موسيقى هادئة يحبها، اختلطت النار بالسكين والمقص الحديدي بين رقصات هيون والمطر المتساقط بالخارج، أحضر أدواته وذهب نحو الطاولة بخطى هادئة ما زالت تتمايل مع النغمات، بدأت اليد الرقيقة تتحرك داخل قيدها تحاول الإفلات ولكن لم يفلح هذا، ابتسم هيون في وجه الفتاة الجميل وهو يضع الأدوات في الدرج الذي أسفل الطاولة والذي صُنِع خصيصًا لتلك الأدوات، وضع هيون وو إصبعه على فمه وهو ينظر للفتاة بابتسام.

- أنا لا أحب الصوت العالي، لذا إن قررتِ الصراخ ليتناغم صوتك مع قطرات المطر والرعد خارجًا فلتحاولي أن تخفضيه قليلًا كي لا أنزعج رجاءً.

أكملت الفتاة محاولتها للإفلات من القيود الحديدية وارتسم الفزع على عينيها، حاولت أن تتكلم ولكن فمها المغلق بلاصق قوي منعها، لاحظ هيون ذلك فربت على شعرها وهو يقترب منها.

- آسف لم أنتبه لذلك الشريط اللاصق، لا بد أنه يمنعكِ من الحديث ويؤلم فمكِ كثيرًا ولكن لا تقلقي لن يدوم هذا.

نزع الشريط عن شفتيها فانطلقت الصرخات دفعة واحدة تطلب النجدة، كان الرعب ما زال منبثقًا من أعينها وكذلك الابتسامات ما زالت منتشرة على ثغر هيون وو، حدقت به لبعض الوقت ثم بدأت تتوسل إليه أن يتركها تذهب ولكنه نظر إلى الإبرة التي يمسكها ويملأها بمحلول أبيض اللون ثم حقنها بها.

- ليست مخدر، فقط تحافظ على تراجع مقاومة يديكِ وقدميكِ إلى أن يستقرا بسكون حتى أستطيع العمل في هدوء.

استمرت صرخاتها وهو يحاول أن يغلق أذنه، أعاد عليها مجددًا بغضه من الأصوات العالية ولكنها لم تسمعه حتى من الصراخ الذي لم ينقطع والاستغاثات التي وجهتها له، بخطى ثابتة اتجه نحو المطبخ مجددًا وتركها خلفه لتواصل ضجيجها واستنجادها المستمر، أمسك بإبريق المياه المغلية وشوكة ثم عاد نحو الطاولة من جديد يبتسم، وضع الشوكة في درج الطاولة السفلي ثم استقر بهدوء عكس الجلبة التي أحدثتها الفتاة أمام ناظريها وروى عطشها بذاك الماء الساخن ليزيد من الصراخ المنبعث منها حتى هدأ تمامًا بعدما اهترأت أحبالها الصوتية أو ذابت، كانت الدموع الحارقة تنساب من عينيها الحمراوين بغزارة، لم تكن تعرف كيف توقفها أو حتى على أي شيء تهبط، أعلى هذا الموضع الذي تدرك نهايته جيدًا أم على ألم حلقها المشتعل كأن حريقًا قد نشب به، تشبثت أعينها بذاك المختل الذي يتمايل بسعادة بعدما جلب كأسًا من النبيذ ووضعه على الطاولة التي يقيدها أعلاها ثم وقف لبرهة يحدق بها، كانت تلك الثواني التي وقف يطالعها بها هي أكثر لحظاتها رعبًا، لم تكن عينه والشرر المتطاير منها ينويان على خير لها، استكانت بعدما عرفت أن المصير الذي ستلاقيه يستحيل أن تجد منه مفرًا الآن، عاد للمطبخ من جديد مشعلًا النار ووضع السكين والمقص أعلاها كي يستعيدا حرارتهما التي نال منها الوقت، انتظر لثلاث دقائق ثم عاد بهم إلى الطاولة مجددًا، كان المقص محاطًا بغطاء من المطاط وقد ارتدى هيون قفازًا سميكًا ليتمكن من إمساكه، دار هذا قبالة وجه الفتاة التي قد قتلها الخوف وهي ترى المقص يقترب منها، ما زالت ابتسامة هيون التي ترعبها تعتلي ثغره وهو يقترب بالمقص من شعرها الطويل وتتطاير خصلاته الناعمة، نظر لها بحنان لم يكن ضمن متطلبات المشهد وهو يربت على شعرها وقال بنبرة لم تختلف كثيرًا عن نظرته:

- أراهن أن هذا المظهر الجديد سيعجبكِ بلا شك، أعلم أن الفتيات في العادة تعرض شعرها لحرارة عالية حتى يكتسب شكله هذا، لذا وددت أن تتم جميع خطوات العناية بكِ صحيحة.

أكمل قص شعرها ببطء وكلما انتزع جزءًا كبيرًا منه يرفعه في الهواء أمام مرمى بصرها ويبادلها النظرات وهو يضحك بانتصار، سريعًا ما انتهى من قص شعرها بأكمله إلا بعض الشعيرات الرقيقة تمامًا، أغلق المقص واقترب به من رأسها الذي بات فارغًا مما قد يعيق حركة مقصه وختم المقص المشتعل على رأسها، انهمرت الدموع من عينيها تنم عن الألم الذي تحاول تحمله الآن، لم يكتفِ بذلك، بل سحب السكين من أسفل الطاولة ونقش على بطنها:

"연세대학교"

وهو اسم جامعة من أعرق الجامعات الغربية في كوريا وواحدة من جامعات سكاي الثلاثة والأكثر صعوبة في البلاد، حتى أنها حلم جميع الطلبة، جامعة يونسي، والتي كان ولع هيون بها قد فاق الحد، كان قد أتم دراسته بها في كلية العلوم لأربع سنوات عاشها هيون في سيول من جديد وقد تجددت وتفتحت الجروح التي حاول تشانغ عبر السنين أن يجعلها تلتئم ولكن كيف؟ لم تكن سيول بعيدة يومًا عن أنظار هيون وو، حظى هيون في هذه السنوات الأربعة ببعض اللقاءات القصيرة مع بيته القديم، لم يعد البيت كما كان سابقًا فقد رُدِم وبني محله مركز تجاري وقد يكون هذا ما جعل لقاء هيون بالمكان أقل حدة عن الألعاب النارية التي تجوب في ذاكرته منفجرة وهو يتذكر ذلك المجرم وحريق المنزل، أنقذ هيون من كل هذا تخرجه من كلية العلوم قسم الكيمياء، نظر للنقش على جسد الفتاة بفخر عهدته عينه عند رؤية اسم الجامعة فقد كان من القليلين الذين منحتهم فرصة الالتحاق بها، دل وجه الفتاة المستسلم على الألم الذي تعايشه الآن ولكن صمتها المُجبَر أرغمها على تلقي المزيد والمزيد من صفعات هيون.

قرر أخيرًا أن يعفو عنها وينقذها من هذا العذاب، بابتسامته المعهودة اقترب من الفتاة مسافة صغيرة وهو يكمل تحديقه، تارة في وجهها الذي لم يترك العرق به مساحة فارغة إلا واحتلها أو في عينها والهلع الذي يقفز منها وتارة أخرى إلى أدواته، يتساءل عن أي منها سيستعمل، جاءت الإجابة سريعًا فقد أخذ مشرط صغير ووضع يده على رأس الفتاة الأصلع.

- أعلم أنني كنت وقحًا معكِ وأنكِ تأذيتِ، أعتذر منكِ، الآن يمكننا أن ننهي هذه الحرب.

كانت تحرك عينيها بسرعة والخوف داخلها لم ينجلِ، ترتجف أوصالها كلما سمعت صوته أو وقع أقدامه التي كانت خيط الناقوس الأمثل بالنسبة لآذانها، كل حديثه مخيف أكثر مما يظن حتى أن أسفه هذا يخيفها، ظلت تحدق به والخوف يركض ورائها في طريق لا تعلم له آخر، سكنت حركتها قليلًا وهي تنتظر الخطوة القادمة، تزداد ضربات قلبها وتتذكر والدها الذي ينتظرها في

المنزل، ستخبره الأيام أنها لن تعود وقد يخبره التلفاز عن طريقة موتها، لكن مَن سيخبره أنها تحبه كثيرًا! نظرت إلى خاتم الخطبة الخاص بها وقد غزت الدموع عينيها من جديد، أين «مين هو» لينقذها من هذا الأمر.

تغيرت الابتسامة هذه المرة من ابتسامة ودودة إلى ابتسامة تنم عن شر يود الفتك بها، اعتدل هيون في وقفته وقد تحرك في مكانه بعصبية ثم أمسك رأسها بقوة وأدخل المشرط في عينيها، لم يتحمل شكل عينها وهي تتحرك في كل الاتجاهات باضطراب هكذا، ترك الطاولة وسافر بعقله يتساءل عن الذي لم يتحمله تحديدًا، أهي العيون التي تتحرك بسرعة مرتعبة وتحرق مشاعره بما فعل في صاحبتها أم أنه لم يتحمل الاضطراب الذي أصابه من حركتها تلك، أي المشاعر لم يتحمل، أشعر بالذنب أم الملل، هكذا كان يتساءل داخل عقله الذي ملأته علة هذه التساؤلات، لم يمضِ وقتًا طويلًا بين أزقة عقله وعاد للفتاة التي بفضله لم تستطع الصراخ أو الحراك أو حتى الإبصار، كان جسدها يرتعش ولكن ليس من البرد، أصابتها هزات خفيفة تعبر عن ما بها من ألم لا تتمكن من إخراجه دفعة واحدة، ودت كثيرًا لو ينتهي الأمر فقط، رغم أن نهايته سترسلها سريعًا إلى السماء ولكنه أفضل من النيران التي نشبت في قلبها والألم الذي توزع في أنحاء جسدها البالي، أغمضت عينيها بتعب بعد أن سحب المشرط منهما ثم هدأت حركتها قليلًا كأنها تستقبل القادم، وقد كان القادم سريعًا كذلك، حيث أنهى هيون هذه الأنفاس والآلام التي أصابتها بتمرير مشرطه على رقبتها بخفة، لطخت الدماء يده ورقبتها والطاولة، أخذ ينظر لها بصمت يشقه صوت المطر الغزير بالخارج وفلافي التي استيقظت وقد عصرها الجوع، حبس القطة ثم اتجه نحو الشرفة وهو يطالع الطريق الذي امتلأ بالأمطار الغزيرة وحيوانات تركض لتحتمي من هذه المياه التي لا تتوقف، تنهد بعمق ثم أغلق الستار وذهب إلى الطاولة من جديد وبدأ تقطيع اليدين والقدمين دون المساس بموضع نقش الجامعة الذي وضعه، أحضر قلم تحديد ووضع بعض النقاط على وجهها ثم عاد بالمشرط يتبع هذه النقاط مزيلًا جلده ووضعه في إناء به مياه مغلية قد حضرها سابقًا، كانت يده ترتعش وهو يقترب من الرقبة بساطوره ويحاول فصلها عن الجسد، كلما اقتربت يده منها كلما زادت ارتجافتها حتى كاد أن يقطعها ولكن ارتد بجسده إلى الوراء وقد اقتحم الخوف وجهه، تقارن ذاكرته بين سكين المجرم ورقبة والده الملقية على الأرض وبين ساطوره المتأهب والفتاة على الطاولة، ليس هناك فرق بينه وبين هذا القاتل، هو الآن قاتل وحلم مرعب للكثيرين، هل ستكون تلك نظرة دو آه له عندما تعلم ما يفعله، هل ستفكر فيه بنفس الطريقة التي يفكر بها في قاتل والديه؟ ظلت الأسئلة تتقاذف في عقله وهو لا يجد لها إجابة، وقع الساطور من يده المرتجفة وجلس يشعر بإنهاك ويتنفس بصعوبة، يبدو أنها ليلة حافلة بالفعل، ظل ينظر

للجسد الممدد أمامه، لا بد أنها أيضًا لديها عائلة تنعته بالقاتل الآن، ربما حتى يكون لها ولد يرتعب كلما تذكر أن والدته لن تعود، كل الذي مر به خلال السنوات المنقضية سيمر به ذاك الطفل وتلك العائلة، لا بد أن لها أبًا يجوب المنزل والقلق يحرقه من أجل ابنته المختفية تمامًا مثلما يفعل تشانغ، في كل مرة يأتي بضحية جديدة يظل الصراع بين أفكاره وما يفعله قائمًا ولا يتركه، ود كثيرًا لو يفقد مشاعر الندم التي تجتاحه كلما نظر إلى المرآة أو إلى المبرد وتذكر وجه عائلته..

- احتفظ بالضوء خافتًا فهذا أفضل.

ابتسم له ثم خفض الضوء مثلما يحب ودلفا إلى المكتب، كان هناك سرير للمرضى وأعلاه يد بشرية، نظر هيون بدهشة للمشهد وقلب نظره بين السرير وتشانغ الذي حثه بنظراته على التقدم، تقدم بضع خطوات إلى الداخل يطالع اليد بعقل مرتجف حتى وصل للطاولة وأعاد النظر لتشانغ بسرعة ثم اقترب ينظر ببطء ويده تمتد لتلمس ذلك الجلد الرخو، ما إن لمس اليد حتى ارتعد وسحب أصابعه مرة أخرى، تقدم تشانغ وهو يربت على رأسه ثم قال بلطف:

- هيا، سنطبق ما تعلمته في الكتب عمليًا.

تردد الفتى قليلًا ولم يُرِد أن يعرف تشانغ بخوفه، لم يستطع أن يرفض وأمسك قلمًا يحدد الأجزاء التي سيقطع بمساعدة تشانغ الذي كانت يده فوق يد هيون على المشرط، قرب يده من اليد وثبت يد الفتى وبدأ يسير مع النقاط التي وضعها على الجلد الخارجي، انتهى من الدائرة التي صنعاها أعلى اليد ثم اقترب من الرسغ وحدد خط أفقي وتركه لهيون كي يفتحه وحده، بعدما فتحه بيد تحاول الكف عن الارتعاش أخذ يشرح له الشرايين التي ستكون هنا وعلى أي الأشياء سيعثر بعد كل تشريح، كلما أضاف معلومة كان الفتى يرد عليه بمعلومة أخرى مما تعلمه في الكتب التي قدمها له تشانغ والكتب التي اتطلع عليها من المكتبة وأعجبته، ابتسم تشانغ وأخبره أنه شجاع وسيحاول أن ينفذ معه تشريح بعض الأجزاء الأخرى وشرح بعض الخطوات التي قد تسهل عليه العملية وتجعله ينفذها باحتراف، كان تشانغ يرى في الفتى حبًا وتطلعًا للمجال الطبي ولهذا كان سعيدًا للغاية عندما دلف إلى كلية العلوم وقد خالف الفتى توقعاته، فقد كان يتوقع أن يدرس الأحياء ولكنه مال أكثر إلى التفاعلات الكيميائية ومعادلاتها التي لا تنتهي، وعلى أي حال كان تشانغ فخورًا به وصرح بذلك له بسعادة رُسِمت دائمًا على وجهه في كل مرة كان يأتي بها إلى المنزل في دايجون كي يرى تشانغ، مرت تلك الأربع سنوات عليه مريعة فقد كان خوفه يزداد من أن يتركه هيون ويرحل يومًا بعد يوم

وعندما تخرج وعاد إلى دايجون شعر تشانغ أن الروح التي فقدها المنزل عادت إليه وقد كان هذا واضحًا لهيون رؤي العين.

أخذ هيون يفكر في تلك اللحظات التي أمسك فيها المشرط تحت إشراف تشانغ، لم يكن يعلمه كل هذا ليصبح قاتلًا في النهاية، إن علم أن اليد التي ساندها بحذر أثناء التقطيع ستدرك عملها جيدًا لتصبح يد قاتل لما كان أمسكها من الأساس، لا يعلم لمَ يظل الندم يراوده هكذا أو حتى لماذا رغم الندم الذي يصيبه دائمًا لا يتمكن من ردعه عما يفعل ويستمر في عمله حتى ينفذه، هكذا فعل عندما اتجه إلى الطاولة من جديد، أمسك بطبق وضعه تحت الطاولة يحوي جمرًا قد أغدقه الاشتعال ومرر الجمر على فخذة القدم اليسرى، كل جمرة تمر على نقطة من النقاط التي حددها مسبقًا، حتى أصبحت كل نقطة منها تعلوها حرق يلتهب، وضع السكين لبعض الوقت على الجمر ثم غرزها بالترتيب في كل نقطة، كان يضع السكين بشكل رأسي ثم يخرجها وهكذا حتى انتهى لتتحول الحروق التي اعتلت النقاط إلى ثقوب عدة، أمسك المشرط وهو يكمل ما بدأه ويتخلص من الجلد سريعًا كأنه يمسك بدجاجة وينظفها من الريش، لم يتبقَ سوى الجزء العلوي والذي قرر هيون اقتطاع البطن منه أو تحديدًا الجزء الذي نُقِش عليه اسم الجامعة وتعليقه أمام الباب بعد التخلص من اللحم الذي فيه ليحصل على الجلد المنقوش فقط، قرر أن يكتفي لليوم وينفذ هذا غدًا وأعاد الأجزاء المتبقية للغطاء البلاستيكي مرة أخرى ليضعه في الجزء العلوي من المبرد حتى لا يختلط ببقية الجثث وينتزع النقش، فتح المبرد ووقف أمامه لبعض الوقت لا يعي الذي يحدث وكيف ومتى، شل عقله وهو ينظر حوله برعب امتزج بالدهشة بعد أن وجد المبرد نظيفًا للغاية لا يغطيه دم أو حتى يحوي جثة!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان يراقب الولد من وقت للآخر وهو يتصفح الكتب والأوراق التي احتفظ بها في المكتبة بينما كان هيون لا يعلم أنه يراقبه، كان يختلس النظر للكتب المتعلقة بتاريخ الجرائم والقتلة والتي أيضًا كانت تشرح بشيء من التفصيل تشريح بعض أجزاء الجسد على لسان القتلة وبواسطة الكاميرا التي صورت جرائمهم، كان هيون متشوقًا لقراءة المزيد عن الجرائم وخاصة جرائم القتل المتسلسل والتي تتم عادة بنفس الطريقة ولنفس الهدف وقد يترك القاتل رسالة بها مع الضحية بعد أن ينهي عمله، أمسك هيون بكتاب الابن المسيء لجاك أولسن والذي يعد من أعلام الكتب التي تتحدث عن قاتل حقيقي أرهق المجتمع بجرائمه، رمق تشانغ الفتى وهو يقرأ بهدوء ويندمج مع الكتب، كان الأمر مقلقًا وخشي أن يؤثر عليه ولكن حرص في المرة القادمة على أن يخبئ الكتب التي قد تأذي نفسه أكثر مما تفيده بمعلوماتها الكثيرة عن مجال

يلتهمه الشغف للقراءة فيه، نهض نحوه بخطوات أثقلها التعب وأمسك الكتاب وأردف بنبرة حانية:

- لقد حان موعد نوم هيون، يمكنك إكماله في أي وقت آخر.

تذمر الفتى قليلًا ولكن انصاع لحديث تشانغ في النهاية وركض إلى غرفة نومه ليغرق في سبات عميق يتأهب به لإكمال كل الكتب التي وجدها في المكتبة ورتبها بعناية من حيث سيبدأ بقراءة كل كتاب منها إلى أن ينتهي.

صعد تشانغ إلى غرفته وهو يفكر في أمر هيون وو، أحيانًا يكون سعيدًا لأن هذه اهتماماته، لكن في النهاية لا يود أن يصل به المطاف مثل شخصيات الكتب التي يقرأ عنها، لذا سيفعل خطوة إخفاء الكتب تلك، على الأقل إلى أن يجده أكثر حكمة وقادرًا على استيعاب ما قرأه دون أن يقلده.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طرقت الأسئلة عقله الحائر، إن اختفت الجثث من المبرد فقد تم كشف أمره، مَن سينقلها وينظفه بالكامل كأنه اشتراه للتو، قد كانت الأجزاء المتبقية من الجثث به كثيرة غير جثث كاملة قد وضعها، لا يمكن أن يحدث هذا بكل تلك السهولة، كان يجوب الشقة بعصبية، إن اكتشف أحد ما أمره فكان بالتأكيد سينصب له فخًا ليوقع به أو حتى يبلغ الشرطة عن المكان، كيف لم يحدث هذا، تضخمت الأسئلة في عقله، تنهال عليه واحدًا تلو الآخر لا تتبعها إجابة ولكنها تشعل الحيرة التي في نفسه أكثر، رفع رأسه كأنه تذكر شيئًا الآن وهرع إلى الثلاجة يتفقد أكياس اللحم بها وقد وجد أنها اختفت كذلك، بدا الأمر مستحيلًا كأن قاتلًا آخر دلف إلى المنزل وسرق كل ما يتعلق بالأجزاء البشرية فيه، ما دفعه إلى الجنون أكثر هو تلك الأدوات التي باتت نظيفة للغاية في ثوانٍ، لا يوحي شكلها بأنه قد ارتكب بها جريمة منذ قليل ولا آثار لدماء عليها، حتى أن برميل الهيدروفلوريك الذي كان أمام ناظريه منذ قليل لم يكن في الموضع الذي تركه به في المطبخ، انتشر الهلع الذي صبه في أعين ضحاياه في مقلتيه دفعة واحدة، لم يعد سؤال مَن فعل هذا يتردد في ذهنه، فقط كان يفكر في كيف! كيف حدث كل هذا!!

لم يترك الشقة حتى، لم يدلف أحدًا غيره إليها، كيف هذا!

ظل ينظر حوله بخوف، كان المكان خاليًا من سواه، هذا الأمر يدفعه إلى الجنون إنه المستحيل بذاته، وقف فجأة من بين حركاته المستمرة في المنزل بأكمله وصوت قدمه التي كانت تضرب في الأرض بين الفينة والأخرى وهو ينظر إلى الحائط بصمت استمر لدقائق، دار بعقله في تلك الدقائق آخر احتمال قد يريد أن يحدث، كان تفسيرًا أبعد ما يكون عن نفسه التي ارتجفت له، هل يمكن أن تكون تلك أرواح الضحايا؟ طرح عقله هذا التساؤل وهو يدعو

ألا يكون حقيقيًا، كان هيون ككل الأطباء أو المحتكين بالمجال العلمي لا يصدقون وجود الأشباح «الخرافات» كما يسمونها وهو كذلك لم يصدق يومًا بوجود مثل هذه الكائنات، فكيف يصدق الآن أنها تعبث معه وتحرك جثته من المنزل، كيف سيجزم أن شبحًا ما دلف إلى المبرد والتهم هذه الكتلة البشرية التي كانت داخله أو أخفاها حتى؟ لا يبدو الأمر منطقيًا ولا يبدو أمرًا غيره قد حدث، وإن كانت تلك الأرواح موجودة بحق لمَ لم تظهر له أو تحاول قتله كما قتل أصحابها أم أنها تحاول أن تدفعه إلى درب الجنون أولًا، نفض عن عقله غبار تلك الأفكار، بالتأكيد لن تصدق أن هذه ألاعيب أشباح! قالها لنفسه وهو يعيد النظر إلى المبرد مرة أخرى وتكاد علامات الاستفهام تفتك بعقله، نهض مسرعًا يبحث عن الحقيبة التي أخفى بها بيانات الجثث، كانت الحقيبة فارغة!

لا يمكن أن يحدث هذا، ظل ينظر للباب لبعض الوقت، ربما أحد ما يختبئ خلفه ينتظره أن يخرج ثم يلقي القبض عليه أو أن الجريمة التي ارتكبها منذ قليل كانت مصيدة الفأر وقد وقع بها، ظل ينظر بخوف تجاه الباب ومن ثم إلى الجثة التي لم تبرد دماؤها بعد، مهلًا أين هي!

هز رأسه بالنفي، لا! لا، هذا عبث بالتأكيد! هتف بتلك الكلمات وهو يتراجع إلى الخلف إلى أن وصل إلى الحائط، قد كانت تلك الجثة هي الدليل الوحيد على ما تم منذ قليل ولكنها الآن اختفت، كانت الدليل الوحيد على أنه لم يفقد عقله بعد، صرخ في الهواء ونظره يدور في المنزل كله:

- إن كنت تظن أن هذه اللعبة ستدوم طويلًا فأنت تحلم، أعلم أنك تسمعني جيدًا، سأجدك وسيكون مصيرك أسوأ من هذه الأشلاء التي سرقتها.

ردد كلماته في الغرفة دون رد، كان يتلفت حوله يدقق النظر ولكن حقيقة أن الغرفة فارغة لم تكن تحتاج لإثبات، رمق باب الشقة مجددًا لبعض الوقت وقد تردد أن يخرج أو يبقى ولكن أخذ قراره بأن يخرج وليحدث ما يحدث، قبل أن يغادر المنزل ألقى نظرة أخيرة عليه وهو يفتش بعينه في زواياه، لعل أحدًا ما يختبئ فيها وقد كانت نتيجة البحث في كل المرات واحدة، المنزل خاوٍ.

كان يركض إلى الخارج بأسرع ما قد تمكنت منه قدمه، لم يكن يعرف ممَا يهرب أو ممَن يختبئ ولكنه استمر في ركضه غير آبه بالأمطار المتساقطة على رأسه، بلغ المسافة التي يسلكها في نصف ساعة في أقل من عشر دقائق، وصل إلى السوق الفارغ من الناس كعادته، أخذ يقلب نظره بين الملصقات كأنها ستدله على أصحابها، حاول أن يستعيد بذاكرته كيف أحضر هذه الجثث إلى تلك الشقة ولكنه لم يتذكر، كان يفتش عن أي خيط في عقله، كيف وصل بها إلى الطاولة! لم يجد في عقله شيئًا يفسر هذا، لم يجد سوى الحيرة تنهش خلايا ذهنه، لا يتذكر سوى أنه كان يضع الضحية في

صندوق كبير ويحمل هذا الصندوق إلى المصعد للطابق الرابع ويسحب الصندوق إلى الشقة ويغلق الباب ومن ثم تبدأ معاناة الضحية على قيد الحياة كانت أو ميتة، كيف تمكن من اختطاف كل هذا العدد؟ لا يعلم كيف، لا يتذكر من الأساس، كأنه اختطفهم تحت تأثير الكحول أو شيء آخر فاقه مفعولًا، كأن خاطف الجثث يساعده على محو جرائمه من المبرد والحقيبة والأدوات والمنزل بأكمله بل والأدهى من عقله! الكثير من الأسئلة تتضارب في عقله ولم يجد لها إجابة أو تفسير، ظلت تلك المطرقة تدق على رأسه المسكين وهو ينظر إلى الشارع بتعجب كأن هذه أول مرة يراه بها، دهس الملصقات المبللة أرضًا وهو يركض إلى المنزل، لا يعلم حتى إن كان سيجده عندما يصل أم سيختفي أيضًا، أيكون هذا حلمًا أم أن عقله يتلاعب به، أم أنها تلك الأشباح الماكرة، لم يعلم بمَ يخبر تشانغ حول هيئته المزرية عندما يصل لا بد أنه سيفزع عندما يراه لذلك تراجع قليلًا حتى تنتظم أنفاسه المتقطعة ويهدأ قليلًا، قدمت السماء له خدمة بماء وفير تمكن من غسل وجهه به وأخذ يتنفس ببطء وهو يستعد لطرق باب المنزل، كان يشعر بالتيه كأنه كان نائمًا والكوابيس تراوده كل هذه السنوات والآن فقط نهض، طرق على الباب وهو ينظر خلفه عل هذا الذي أخفى الجثث يتبعه إلى هنا ولكن كان الشارع على هدوئه وفراغه المعهود، فتح تشانغ الباب وقد شعر بالارتباك الذي يعتلي وجهه ولكن ابتسم له وتجاهل الأمر قليلًا، احتضنه هيون ثم دلف إلى المنزل، حاول المزاح ولكن كان القلق قد أنهك عقله وألجم لسانه لذلك اصطنع التعب على وجهه وهو يتحدث إلى تشانغ.

- آسف أجاشي، كنت أود أن نتناول العشاء معًا ولكن أشعر ببعض الإعياء في معدتي، سأصعد لأرتاح، أتمنى أن تحظى بليلة سعيدة.

لم يصدر تشانغ صوتًا، فقط نظر له بهدوء غلفه الشك وتابع بعينه صعوده إلى غرفته ثم ذهب نحو مكتبه وهو يفكر بالهيئة والتعابير التي دلف بها إلى المنزل وهذا التوتر الذي بدا على صوته المرتعش وهو يتحدث، لا بد أن شيئًا ما قد حدث ويبدو أنه ليس صغيرًا.

صعد هيون إلى غرفته، تعصف الأفكار برأسه ويتوعد له ذهنه بالهلاك المحتوم، لا بد أن أمره قد كُشِف، هذه الأحجية التي يدور في متاهتها من مخطط الذي كشفه وما هي إلا بضعة أيام ويلقى مصيره بلا شك، وقبلها سيفقد عقله من كثرة الأسئلة التي تعود سهامها خائبة منكسة الرأس، يقف عند النافذة يتابع بنظره السماء والبرق الذي يصدح فيها، لم تنقشع غيومها الرمادية بعد وما زال المطر منهمرًا، أخرج رأسه من النافذة وبللها المطر، أعاد الكرة وهو يتنفس بهدوء ويستنشق رائحة الخشب المبلل من حوله والصخور التي استقرت أسفل بركة ماء صغيرة خارج النافذة، أغلقها هيون

وهو يتجه إلى فراشه بإنهاك بدا على عينه التي ما أن استقرت رأسه على الوسادة حتى أغلقها ببطء متمنيًا أن يكون كل هذا في طي الأحلام ويفيق ليجده قد اختفى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حل الظلام وقد غطى السكون كل أرجاء المنزل عدا غرفة المكتب التي كان تشانغ يبقى فيها لساعات متأخرة من الليل لينجز أعماله والأوراق المطلوب منه إنهائها من أجل الكلية، ظل يستذكر ويكتب في تلك الأوراق لوقت متأخر حتى شعر بأن عينه تحرقه فقرر أن يستريح قليلًا، مال برأسه إلى الكرسي وهو ينظر إلى السقف كانت جدته ستوبخه إن علمت أنه مستيقظ لهذا الوقت، كانت ستقول بكل حزم: تشانغ أيها الولد! ألم أخبرك من قبل أن النوم مبكرًا يجعل التركيز حليف دماغك لآخر اليوم؟ أنت لا تستمع إليّ.

حينها يندفع تشانغ إليها وهو يعتذر ويخبرها أنه لن يكرر الأمر مجددًا رغم أنه يكرره بشكل يومي ويظل خطاب الجدة كذلك يتكرر بشكل يومي، تنهد بقوة، لم تعد هنا لتوبخه ولم يعد أحد آخر هنا، بات المنزل فارغًا وضيقًا، يجزم أن أثاثه يبكي الوحدة التي أصبح عليها، نظر إلى مكتبته الصغيرة لينقذ رأسه من الوقوع في هذا التفكير، كان الكتاب الذي يقرأه مؤخرًا في مقدمتها، يتحدث عن هتلر والهولوكوست، تلك المأساة التي طالما اندهش لها ولحدوثها، يشعر أحيانًا أن الحرب العالمية الثانية قررت دك رأس هتلر وهزيمته لكشف أفكاره النازية ومعسكراته التي أودت بالكثير والكثير، رغم كل ما يقال عن هتلر وجنوده ومحرقته إلا أنه يشعر أحيانًا أن هذا حقه في الانتصار، فقد كان هؤلاء أسرى لدى دولته المنتصرة يعاملهم كيفما يشاء، كان يساند آراء هتلر النازية التي بات العالم صغيرًا وكبيرًا يعرفها ويمقتها ويمقته هو أيضًا ولكنه دائمًا كان يرى لهتلر مبررًا لن يسرده التاريخ، فلن يبرر قلم المؤخرين لمنهزم في النهاية، لو كان هتلر قد فاز في الحرب التي أعلنها لما كانت عقولنا لتعلم ما الهولوكوست هذا بل ربما كنا سنمجد هتلر وتُصنَع له التماثيل، القائد الشجاع الذي وقف أمام بريطانيا والحلفاء متصديًا لهم بقوة وسحقهم أيضًا بقوة، وربما كنا سنشهد هولوكوست آخر في الولايات المتحدة ومحرقة أخرى في باريس ثم يسب العالم بأكمله جنرال فرنسا الحرة شارل ديجول بدلًا من الجزم بأفضاله في الحرب وتمجيد الشرق الأوسط له على موقفه في إعلان استقلال الجزائر، لكن في النهاية شارل ديجول انتصر في الحرب العالمية الثانية ولا يمكن أن يكون متبعًا لفكر مثل الفكر النازي فهو بطل كما وشت الحرب ومؤرخيها عنه.

تنفس ببطء وهو يبتسم للكتاب الذي يُسَب هتلر في نصف صفحاته تقريبًا، لم يصرح تشانغ من قبل لأحد عن أفكاره تلك لأنه يعلم مصيرها ومصيره معها

ولكنه دومًا يراها صحيحة، ولا يرى أن موت فئة لبقاء فئة أكبر هو قضية إنسانية بائسة تستحق التعاطف، في نهاية الأمر هذا قانون الحياة الذي يُسمَى تطرف ولكنه ليس التطرف إنه قانون البقاء والقوة التي يستمدها الطرف الأثقل في ميزان الدهر من الطرف الأضعف، قد كان يعلم في قرارة نفسه أن هذا الحديث فارغ وأن تلك الأفكار وليدة رأسه وما هي بقوانين في الأساس ولكن ما من نازي يعترف أنه نازي، أكمل قراءته الهادئة منفعلًا مما يقال، مضت نصف ساعة أراح بعدها رأسه على الكرسي وهو ينظر إلى الأوراق من حوله، تبقى القليل منها وينتهي ولكنه قد تعب بالفعل فأغلقها وقرر أن يكمل المتبقي عندما يستيقظ في الصباح، أعاد الكتاب للمكتبة مرة أخرى بعدما نظر إلى غلافه مطولًا عله يستضيف قائد الهولوكوست في أحلامه اليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تطايرت شجاعته مجددًا في أول ممر وُضِع به ضمن مجموعة كبيرة من الناس، لم يستطع كالعادة استيعاب العدد المهول، كان يبحث بعينيه عن القاتل، لم يكف عقله عن الاعتقاد أن قاتل والديه يلاحقه دائمًا ليلاقي نفس المصير، ولهذا السبب كان خوفه الدائم من أن يكون أحد ما يراقبه يزداد يومًا بعد يوم، في كل زحمة سير كان يمشي بأكتاف تتجنب الاصطدام بأحد حتى لا يصرخ صاحبها وبعين مترقبة تنظر في كل الاتجاهات ورغم كل هذا ظل الشعور الذي يشي له بوجود شخص ما يلاحقه قائمًا للآن، هذا غير خوفه الحقيقي من الغرباء والذي يظهر على ارتجافة صوته ودقات قلبه الممزوجة بنظرة مريبة ملأها الفزع، وقد حفز هذا التصرف أن يبتعد عنه الكثير حتى أنه بات مخيفًا للبعض ولكن هذا أفضل بالنسبة له.

وقفت دو آه بجانبه وهي تلكزه في كتفه، كان يقف في زاوية لا يتحرك ويحدق في الجمع بصمت مريع ظهر على عينه وعلى وجهه الصامت عكس وجوه الحاضرين جميعًا الفرحين بمهرجان الفوانيس الذي يُقام كل عام في شهر نوڤمبر وهو مهرجان تقليدي تُشعل فيه الفوانيس في العاصمة بأكملها ويعتبر حدث جاذب للسياح من أنحاء العالم يشاهدون الرقص والغناء والفوانيس المشتعلة وأنوارها التي تنتشر في العاصمة سيول لعشرة أيام بأزياء تقليدية ومظاهر بهجة كورية.

- لمَ تقف عابسًا هكذا؟ ألا ترى أن الجميع يرقص ويغني، لمَ لا تبتسم للمهرجان؟

لم يجِبها وأبعد يدها الماثلة أمام وجهه وهو يخبرها أن تتركه وشأنه، كان الصوت من حولهما يعلو ولا يمكن أن تسمعه بسهولة لذلك مشت معه إلى

مكان أكثر هدوءًا ليتحدثا، كان هيون وو يسير معها حتى يتخلص من إلحاحها الذي لن ينقطع.

- الآن وصلنا لمكان أكثر صفاءً من الملعب، لمَ لا تستمتع بوقتك؟ أنا أعلم أن التهكم الذي يعلو وجه تشانغ لأنه لا يحب المجيء لسيول كثيرًا ولكن ماذا عنك، ماذا دهاك هيون وو؟

- أتعرفين دو آه؟ تلك الأنوار تبدو جميلة للغاية من بعيد، يمكننا البقاء هنا.

فهمت ما يرمي حديثه إليه فجلست بجانبه على السور الحجري وهما ينظران إلى الأنوار بسعادة، ترنح الهواء العليل بنسماته يتراقص احتفالًا بالمهرجان، بينما يبتسم هيون وو من حين للآخر وهو يحدثها عن الأيام التي يقضيها مع تشانغ في تعلم التشريح وقراءة كتب في علم الجريمة، كان يتحدث بحماس عن المكتبة التي يمتلكها تشانغ والتي تحوي كتبًا كثيرة.

- إن أجاشي يمتلك مكتبة كبيرة بحق، بها كتب قد اصفرت أوراقها وتعود إلى ما بعد الحرب بقليل، أتتخيلين؟ كتب تتحدث عن النازية وأخرى عن علم الجريمة والقتلة المتسلسلين وأخرى عن الطب والتشريح وبعض الكتب الأخرى التي تتحدث عن علم النفس والخصائص البشرية، أشعر أنني أكبر عمرًا عندما أمسك بكتاب منها وأقرأه.

ضحكت دو آه على حركات يده المتحمسة والمنغمسة في شرح ورسم ما يقول، كان يقص لها ما في المكتبة وكأنه يسرد حدثًا تاريخيًا لا يصدق متى طفا على سطحه حتى يحكيه للبقية، ثم نظرت إلى وجهه الصغير الذي تكتسيه الحمرة دائمًا عندما يتحدث بشغف عن شيء ما، أخبرته أنها تحب الكتب أيضًا ولكنها تفضل هذه الأيام أن تصب تركيزها على تمارين البيانو كي تصل للمستوى الذي حدده المعلم خلال شهر، صفق لها هيون بسعادة وهو يخبرها بأنها ستصل إليه حتمًا، هزت رأسها بفخر وهي تضحك بمكر وتقول:

- بالطبع سأبلغه هيون وو، فأنا دو آه..

قاطعها هيون وو وهو يكمل الجملة التي ترددها دائمًا بمرح وسخرية مصطنعة:

- يمكنني تحقيق المستحيل إذا أردت.

لكزته بقوة في كتفه وعلا صوت ضحكهما في الأرجاء تتخلله الفوانيس بأنوارها التي تسطع فوقهما في سماء سيول، كانت ليلة سعيدة على الطفلين والشعب بأكمله كذلك ولكن تشانغ أنهاها بغضب عارم عندما لم يجد هيون وو ودو آه قريبين منه وأخذ يبحث عنهما طويلًا وعندما أبصرهما علا صوته وهو ينتقد تركهما له والابتعاد كل هذه المسافة وحدهما، اعتذر هيون وو

وما زال التعجب حليفه هو ودو آه بسبب نبرة تشانغ الغريبة وقد أعزيا هذا للقلق الذي أصابه عليهما وحالته النفسية بسبب مجيئه إلى سيول فقد كان دائمًا يخبرهم أنه فقد كل شيء في سيول ولا يريد أن يعود إليها وبحوزته شيء ثمين لأنه يخشى أن تسلبه منه كذلك، بحثا عن والدة دو آه ليخبراها بقرار الرحيل الذي اتخذه تشانغ فخرجت من بين الحشد وذهبت معهم عائدين إلى دايجون والابتسامة تعتلي ثغر هيون وو ودو آه وفارقت نفس تشانغ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لاح ظل رجل في الأفق أمام نظره يبتسم له ويحمل سكينًا، تقدم الرجل بضع خطوات نحو هيون وو الذي لم يتزحزح من موضعه ورمقه بنظرة لم تختلف كثيرًا عن ثباته هذا، اقترب الرجل وابتسامته تزداد اتساعًا، قد كانت الشمس تعطي السماء قبلة أخيرة لتخلد إلى النوم بهدوء مغاير لتلك الجلبة التي اشتعلت على ضفة النهر لأناس يمسكون مشاعل كثيرة ويهتفون بكلمات لم يتمكن من سماعها ولكنها تبدو حانقة على شخص ما، وجه نظره الذي خطفه ذاك المشهد إلى الرجل من جديد، كلما اقترب كلما ازداد طوله والسكين تتقلص في يده، بات على مسافة قريبة ثم عاد طوله طبيعيًا، أطول من هيون وو قليلًا، وقف قبالته يتبادلان النظرات غير المفهومة والتي لا تُبشر بشيء سواء خير أو شر، تحدث الرجل محافظًا على ابتسامته بنبرة خشنة:

- أهلًا بك في أرضنا هيون وو، لا بد أنك فقدت الطريق أكثر من مرة حتى تصل إلى هنا.

لم يفهم هيون شيئًا وقد ظهر هذا على نظرته الحائرة، لكن لم يدعه الرجل في حيرته هذه كثيرًا فقد أردف قائلًا:

- لا تقلق، أنا أعلم أنك لا تفهم أي شيء، لكن اسمعني رجاءً، أنت الآن في الطريق الصحيح، أعلم أن هذا الطريق يثير تساؤلاتك بلا شفقة أو توقف ويجرف عقلك ورائه ولكنه الطريق، دائمًا هناك حيرة في أوجه كل المواضع التي نسلكها ولكن من بينهم اتجاه واحد فقط يكون صائبًا، حافظ على هذا الصواب هيون وو..

بدأت صورة الرجل تهتز وذلك النهر بأناسه المتظاهرين آخذين في التلاشي تدريجيًا، صدح صوته من جديد يخبره أن هذا هو الطريق، لم يفهم هيون شيئًا، شعر أن هذا الرجل أتى ليزيد الحيرة في قلبه من كل شيء، ما هذه الأرض الغريبة! تلاشت تلك الصور من عقله عندما فطن لنداءات تشانغ:

- ألن تستيقظ؟ لقد نمت كثيرًا.

فتح عينه ليجد تشانغ واقفًا أمامه في غرفته، سخر من نفسه قليلًا أنه صدق كونه موجودًا في تلك الأرض وأن هذا الرجل حقيقي ثم أخبر تشانغ أنه استيقظ فتركه وذهب ليحضر الإفطار، نهض هيون وو يرتب سريره ناظرًا إلى السماء الصافية والتي لا يظهر عليها آثار لمطر البارحة الذي لم ينقطع لساعات، عجيب هذا البساط الممتد في كل النواحي، يتقلب بين الساعة والأخرى لأكثر من حال، فما باله بين اليوم والآخر! يأتي المطر ويترك آثاره على الأرض فقط، بين جحرها الصغيرة وعلى أرصفتها المبتلة، لكن السماء تتخلص من مظاهره سريعًا حتى تصفو وتعود إليها شمسها الساطعة مجددًا ماحية حتى آثار المطر التي احتفظت بها الأرض ومنتشلة رائحته من الأرجاء، ترك النافذة التي تجذب عقله في عالمها الخارجي منشغلًا بأفكاره وذهب للاغتسال.

- صباح الخير هيون وو!

أومأ بابتسامة مقتضبة وقد لاحظ تشانغ هذا ولكنه لم يعقب، تناولا طعامهما بهدوء وسط نظرات تشانغ الثاقبة نحو هيون وو الذي بدا في عالم آخر غرق في معالمه، انتهى من طعامه سريعًا وأخبر تشانغ أنه سيخرج لبعض الوقت وسيعود مبكرًا ولم ينتظر أي إجابة، سحب معطفه وخرج مسرعًا، كان شأنه محيرًا بالنسبة لتشانغ الذي ظلت عينه معلقة على الجهة التي سار منها حتى تلاشت صورته، باتت التساؤلات كثيرة في عقله ولكن تركها لوقت آخر يكون هيون وو به في البيت.

خرج هيون ينوي التوجه نحو منزل دو آه ولكن وقف لبعض الوقت يفكر في هدية صغيرة يشتريها لها، اتجه إلى السوق يبحث عن شيء تحبه هي حتى استقر على حلوى الياكسوك التي تفضلها دو آه، اشترى لها كمية وفيرة منها وذهب إلى بيتها الذي يقابل بيته، طرق الباب ومرت دقائق قليلة ولم يفتح أحد، طرق مجددًا ولكن بقوة أكبر قليلًا وكانت النتيجة مثل سابقتها، تعجب هيون من الأمر، فعادة دو آه تجلس على مقربة من الباب، يبدو أنها نائمة، كاد يطرق الباب مجددًا ولكن قاطعه صوت والدة دو آه الباكي الذي خرج من وراء ظهره وليس من خلف الباب فزاد تعجبه، استدار سريعًا وهو ينظر للدموع التي ترقرقت في عينيها وهي تنظر له، تعجب مرة لذلك ومرة لوجودها في هذا الوقت المبكر وحيدة هكذا في الخارج، بادرها بسؤاله:

- أجوما ، ما بكِ؟ لمَ تبكين؟

- البارحة خرجت دو آه من أجل درس الموسيقى وقد مر الوقت ولم تعد، ظننت أنها تتسكع مع أصدقائها ولكن حل الليل ولم تأتِ أيضًا، بدأ القلق ينزرع في قلبي ولكنني ظننت أنها في منزل إحدى صديقاتها وفضلت ألا أتصل بهم

في وقت متأخر، فبقيت ليلتي متيقظة لا أقدر على النوم، عندما حل الصباح ولم تأتِ أيضًا بدأت أتصل بأصدقائها ولم يكن أحد منهم قد رآها بعد أن انتهت حصة الموسيقى، لم أشعر بشيء تركت الهاتف وكل شيء وركضت لأبحث عنها ولكنني لم أجدها، ساعدني يا بني، لقد اختفت دو آه من البارحة.

سقطت علبة الحلوى مع سقوط هذه الكلمات من فمها، نظر هيون إلى الأمام بصمت وسيناريوهات كثيرة تتجمع في رأسه، كاد أن يقع أرضًا جوار علبة الحلوى، لا يمكن أن يكون هذا جزاءه، لقد قرر أن ينهي كل هذا! لمَ على القدر أن يكون بهذه القسوة، إنها دو آه! لا يمكن هذا!

أخذ ينهر عقله الذي يفكر في هذه السخافات، اتصل بمعلم الموسيقى الذي لم يكن قد هاتفه منذ سنوات، منذ أن تخلى عن جيتاره أعلى خشبة مسرح المدرسة، مر القليل من الوقت وقلب هيون يحترق منتظرًا إلى أن أجابه المعلم، لم يتمهل هيون ليلقي عليه التحية وعاجله بالسؤال عن دو آه وقد كانت تلك العجلة تبعث القلق في نفس المعلم الذي أجاب بصوت مرتعش يحاول أن يستنبط أي شيء من مهاتفه:

- لا أعلم شيئًا قد يساعدك، لقد غادرت بعد انتهاء الحصة البارحة مع الجميع.. هل حدث شيء؟

لم يجِبه هيون وو الذي غاب عقله في تلك الذكريات التي تفتك به، آخر شيء يريده أن يحدث هو أن يكون ما في ذهنه حقيقيًا، تردد قليلًا ثم أخبره ألا يقلق وأنه سيعاود الاتصال به في وقت آخر ثم أغلق الخط، نظر لوالدة دو آه والتي امتلأت عينيها بالدموع، طلب منها أن تدلف إلى المنزل وسيعمل على إيجاد دو آه واصطحابها إلى المنزل، كان التوتر يجوب قلبها الذي كانت هيئته مزرية أكثر بكثير من وجهها ولكن في نهاية الأمر انساقت لما قاله هيون ودلفت إلى البيت تتمنى أن تعود ابنتها سالمة، وقفت في الشرفة تنتظر أن تعود دو آه قبل حتى أن يتحرك هيون نحو مسار بحثه وهو ما زاد الثقل على عاتق هيون وو وأخبرته عينيها أنها لن تتزحزح قبل رؤية دو آه، ابتعد عن البيت ليتمكن من التفكير بذهن صافٍ على الأقل من نظرات السيدة كيم، أخذ يفكر في كل الأماكن التي قد تكون ذهبت إليها وبدأ يستبعد ما تم التأكد أنها ليست به، لم يتبقَ سوى دورة التأهيل التي كانت أحد محاضريها وهدفها توعية الآباء بضرورة الحفاظ على طفلهم وصحته النفسية قبل الجسدية والتوعية بمخاطر التفكك الأسري على المجتمع بصفة عامة والطفل بصفة خاصة، ذهب إلى هناك يجر أذيال خيبته وهو يتحاشى النظر إلى الملصقات المعلقة على الجدران كأنه استجاب للهاجس الذي يلح على عقله بكون صورتها معلقة على إحداها، مشى بخطوات سريعة نحو المركز يتأهب للقاء دو آه وإخبارها أنهم جميعًا بحثوا عنها في كل مكان ولكن ما المبرر الذي يجعلها تبيت ليلتها

في مركز إعادة التأهيل! حاول أن يفكر في خيار آخر وهو احتمالية أن تكون ذهبت إلى الجامعة كي تنتهي من بعض الأمور الخاصة بالدراسات العليا، اتصل بأحد أصدقائها في برنامج الدراسة والذي أخبره أنه لا يوجد داعٍ للذهاب إلى الجامعة الآن، كان هيون في طريقه إلى مركز إعادة التأهيل وقد ازدحمت الأفكار والاحتمالات في عقله، لم يعرف يصدق ويميل لأي منها على حساب الأخرى، شعر بانحناءة أصابته عندما تذكر الضحايا التي كان يتلذذ بالتخلص منها وحاول أن ينفض عن رأسه تلك الأفكار التي تدفعه إلى تخيل أن نفس الأمر يحدث مع دو آه، لقد أرهقته هذه الأحداث بحق، كل يوم يمر حدث جديد يلهو بعقله أكثر من سابقه، بعد وقت لا بأس به من التفكير وصل المركز، سأل المدير عن دو آه ولكن أخبره أنها لم تأتِ البارحة وهو جواب لم يكن هيون وو يود سماعه البتة، عاد إلى المنزل وقد تحطمت آماله المتبقية في العثور على دو آه، نظر إلى الملصقات المعلقة يبحث بينها عن صورة دو آه التي باتت مفقودة الآن، لم يعرف كيف سيخبر السيدة كيم بالأمر أو كيف سيخبر تشانغ، شعر بوزن الأمر الذي أثقل كاهله وعلم جيدًا أنه لن يتمكن من التفوه بشيء أمامهما فاستمر في السير في شوارع المدينة يتحاشى طريق العودة، كان يفكر في ضحكة دو آه التي كانت تبعث البهجة في كل مكان، الجيتار الذي أحضرته من غوي سيوك وقفزاتها البريئة بسعادة، لم تكن دو آه صديقة وقريبة من العائلة فقط بل كان يشعر أنها الأخت التوأم له، رغم أنها تصغره بعام إلا أن هذا لم يشكل فارقًا في أن تكون دو آه تشبهه في كل شيء وتشاطره فعل معظم الأشياء التي يحبها كذلك، شعر بحجم الخزي الذي سيحمله فوق كتفه إن عاد إلى المنزل دونها ولكن لا مفر من هذا، كاد الألم أن يحرق قلبه في كل مرة يمر في ذهنه صورة ضحية قد تخلص منها بكل دم بارد وأخذ يتخلص من جسدها خطوة تليها الأخرى ببطء وإتقان، حاول أن يزيح عن ناظريه فكرة أن دو آه اختُطِفت وأنها أيضًا تُقتَل بنفس الطريقة، ترى هل سيستيقظ ليجدها قد ظهرت فجأة أعلى طاولته كما اختفت جثته فجأة؟ نظر إلى السماء الصافية يرجوها أن تمطر، ألن تنجلي تلك الأفكار عن رأسي؟ أم أنها ستستمر في هذا طيلة اليوم! تساءل دون مجيب، رمق يده لهنيهة ثم قرر العودة إلى المنزل يجر أذيال الخيبة وتعبًا طفق على هيئته الخارجية لن يكون في حاجة لتفسير سببه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل إلى البيت وهو يحاول الاختباء كي لا تراه السيدة كيم ولكن هذا لم يكن ممكنًا في هذه الظروف، فقد كانت تنتظره أمام باب منزلها وما أن رأته من بعيد حتى أسرعت إليه بابتسامة باهتة حاولت رسمها على ثغرها كي تسمع أخبارًا جيدة تزيد من اتساع تلك الابتسامة ولكن قابلها وجه هيون المنهك والذي لم يصدر صوتًا، كان ينظر لها فقط، شعرت أن الجواب الذي ظلت

تطرده من رأسها كثيرًا قد وصلها الآن، تشبثت به قبل أن تقع وهي تعيد النظر إلى وجهه وتكرر سؤالها مجددًا عن دو آه وقد قابلها الصمت نفسه، لم تستطع أن تصمد أمام وجهه الذي يحمل الكثير وانهارت فاقدة الوعي، طرق الباب وعندما فتح تشانغ فُزِع من المشهد، قد كان هيون يحمل السيدة كيم بينما هي لم تكن واعية لما يحدث، أدخلها إلى غرفة الجلوس وجلب بعض الماء الذي نثره على وجهها حتى بدأت تستيقظ منهكة، نظرت قليلًا إلى تشانغ وهيون وو ثم حاولت أن تنهض لكن أخبرها هيون أن من الأفضل أن تستريح قليلًا ونقلها إلى غرفة الضيوف ثم وصى تشانغ أن يحضر لها حساءً ساخنًا.

- ولكن ماذا أصابها؟

- لقد اختفت دو آه البارحة ولم أعثر عليها في أي مكان..

وقعت المغرفة من يد تشانغ وهو ينظر له بصدمة، تساءل عن كيفية حدوث ذلك وكان جواب هيون أنه لا يعلم أي شيء إضافة عن ما أخبره الآن، جلس تشانغ على الكرسي وهو ينظر أرضًا ويردد بحزن بالغ:

- هذا ما كنت أخشاه؛ أن تمتد حوادث الاختطاف تلك إلى عائلتي وأبنائي، قد حدث الأمر الذي كان كابوسًا يؤرق نومي لفترة كبيرة.

حاول هيون أن يهدئه ويقنعه بأن كل شيء سيصبح على ما يرام، لكن حاله لا يختلف كثيرًا عن حال السيدة كيم، تركه هيون وصعد إلى غرفته بجسد منهك وعقل هزمه التعب، تمدد على السرير وهو ينظر إلى السقف دون حراك، ربما هذا ما يستحق أن يلاقيه في النهاية ولكن ما ذنب دو آه في كل هذا، لم يُرِد أن يُقحمها في الأمر من البداية، كان عقله لا يتوقف عن التفكير لإيجاد حل يمكنه من العثور على دو آه، حاول أن يربط الخيوط ببعضها، البارحة اختفت الجثث في حدث لا يصدقه عقل واليوم دو آه، أيمكن أن يكون الفاعل واحدًا؟ إنه احتمال لا بأس به بل أنه يرجح صحته نظرًا لتقارب الفترة الزمنية بين الحدثين، ومن هنا نعود لنفس النقطة وهي أن هيون وو هو السبب في اختفاء دو آه، لأنه قاتل متسلسل، قد طالتها نيرانه التي أخذت في الاتساع حتى حرقته وكل مَن حوله، لم يكف عن لوم نفسه على اختفائها وكأنه تناسى أنه السبب في اختفاء كل تلك الضحايا وقتلهم وأن بسبب سكينه كانت هناك عائلات تنعي حظها في فقد فرد منها، هناك قلوب قد شعرت بما يشعر به الآن وضاقت بها الدنيا وهي تبحث عن أحبائها الذين قد اندفع هيون بكل قوته يقطع أجزاء مجموعة منهم ويسحب دماء مجموعة أخرى، كان هذا الدماء نبيذه اليومي وتلك اللحوم عشاءه اللذيذ، ظل يفكر في كل هذا وعقله يستدعي تلك المشاهد ويجسدها أمام ناظريه، كأن المشهد لم يكن يؤلمه

دون صوره المتناثرة في ذاكرته، نهض ينظر من نافذته إلى شرفة دو آه المغلقة، حاول أن يتحدث ويطلب العفو منها ولكنه لم يتمكن أن يتفوه بكلمة، عزم على البحث عنها من جديد ليعيدها إلى المنزل وإن كانت في جوف الأرض، فبغض النظر عن شكل هذه المسائل التي بينه وبين الرجل الذي اختطفها إلا أنها يجب أن تظل بينهما دون أن تحتد لتبلغ ذروتها وتضرب أبواق الخطر جارفة واحدًا من عائلته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- أريد تسليمي للسلطات بتهمة اختطاف وقتل وتشويه ١٩ جثة.

نظر إليه الشرطي باندهاش يتفحصه إن كان مخمورًا، وجده يقف أمامه ناظرًا في عينه وبدا له أنه كان يقصد كل حرف تفوه به من قليل.

- هل تعي حجم الجريمة التي تنسبها إلى نفسك؟

- أعلم، وأود أن أقدم بلاغًا من أجل اختفاء فتاة تدعى دو آه.

- إذًا قضية وبلاغ، جيد.

تفحصه الشرطي مرة أخرى، يحاول أن يستنطق من وجهه أنه يكذب أو حتى يمزح ولكن الأمر لم يكن هكذا، جلس أمامه بهدوء بعدما أمر بكتابة البلاغ وبدء التحرك للعثور على الفتاة المفقودة التي أخذ معلومات عنها من هيون ثم نظر له لبعض الوقت لا ينكر أن كلماته حركت الفضول في صدره ليعلم كل شيء وأنه تعجب من هذا الاعتراف.

- والآن أخبرني كل شيء، كيف كنت تقتل وكيف تمكنت من اختطاف تسعة عشر شخصًا، وما الذي يجعلني لا أصدق أنك قد اختطفت تلك الفتاة دو آه؟

شعر هيون وو بحجم الكارثة التي أوقعته أعماله بها ولكن ما أن أنهى المحقق جملته الأخيرة حتى قال باندفاع:

- دو آه صديقتي وواحدة من العائلة، لا يمكنني أن أفكر في أن أؤذيها حتى.

أومأ المحقق برأسه ثم طلب منه أن يشرح كل شيء حول العمليات التي قام بها، بدأ هيون يخبره بالأدوات التي كان يستخدمها بداية من المقص والمشرط حتى نار الموقد وحمض الهيدروفلوريك ويشرح له استخداماتها بالضبط وكيف كان يطبقها على جسد الضحية ثم يبدأ بتشريح جسدها وكل ضحية يتبع معها أسلوبًا آخر، البعض في المبرد والبعض كعشاء والبعض الآخر كوجبة للكلاب والقطط في الطريق أو يتخذ دمائهم كشراب يومي، لم يستطع المحقق سماع المزيد خاصة بعد أن بدأ هيون يصف إحدى عمليات القتل بدقة بالغة وتخيل المحقق حمض الهيدروفلوريك يسقط على جسده ليحرقه، طلب منه

أن يكف عن السرد قليلًا وبدأ يأخذ نفسًا عميقًا يحاول أن يخفف به هول ما سمع، تمالك أعصابه بعد دقيقة وطلب منه بياناته والمكان الذي كان ينفذ فيه هذه الجرائم.

- في الحقيقة بعد أن أنهيت آخر عملية قتل وجدت أن المبرد المليء بالجثث قد فرغ وليس هناك شيء يدل على جرائم حدثت هناك.

- أعطني فقط العنوان ونحن سنفعل اللازم، وأنت ستبقى معنا.

- ها هو ولكن لا داعي لأدلة سيادة المحقق، لقد اعترفت وأنا على أتم استعداد أن أكرر حديثي أمام المحكمة.

هز المحقق رأسه بتفهم ثم أخذ عربة الشرطة برفقة أربعة عساكر وانطلق إلى هذا العنوان يفكر في كلام ذلك الشاب الأحمق وفيما سيجده هناك، وعلى عكس ما كان مستعدًا له كانت الشقة خالية من أي دماء أو جثث ولا تبدو كمسرح جريمة، وبالفعل كما ذكر هيون وو كان المبرد فارغًا والأدوات نظيفة تمامًا كأنه اشتراها من نصف ساعة، ملأت الحيرة قلب المحقق جيو ري ولم يعرف ما التصرف الذي يجب اتخاذه، يمكن أن يعتبر الأمر بلاغًا كاذبًا ولكن هيون قد اعترف أن هذا الذي سيحدث وأن المنزل فارغ من أي دليل على جرائمه.

عاد إلى مركز الشرطة مجددًا وقد قرر أن يخضع هيون وو للجنة طبية ليعرف مدى صحة أقواله وما الدافع منها وإن كانت صحته العقلية في حالة جيدة أم لا فهو قد يكون كاذبًا أو يخبرهم بهذا كي يخفي جريمة أخرى تم ارتكابها سواء عن طريقه أو عن طريق شخص آخر أو ربما يهذي وقد سلك عقله درب الجنون..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هذه الطبيبة جانغ سو يون، ستجلس معك لنصف ساعة تتحدثان، أتمنى أن تكون مدركًا لأهمية هذا بالنسبة للقضية.

هز هيون وو رأسه وقبل أن يغادر المحقق عاجله بسؤال:

- ألم تجدوا دو آه بعد؟

أحنى رأسه وهو ينظر له ويعتذر:

- حاولنا البحث كثيرًا ونحاول مرة ثانية ولكن للآن لا أثر لدو آه.

قاطعت سو يون حديثهما وهي تلقي التحية على هيون وو وتدعوه للجلوس فغادر جيو ري ليترك لها مساحة لتباشر عملها، بدأت حديثها بأسف ثم أمسكت بورقة وقلم وابتسمت له:

- أرى أنك أكثر دراية بما يحدث عن الذي توقعته، كل ما تقوله الآن سيكون مفيدًا لي جدًا، أتمنى أن تجيب على الأسئلة بصدق واستفاضة.

هز هيون رأسه فأردفت قائلة:

- ما الذي كنت تشعر به أثناء ارتكاب الجريمة وهل تحدث أحد الضحايا لك أثناء قتله؟

- كنت أشعر بالندم قليلًا عندما تظهر صورة تشانغ أو دو آه أمام عيني خاصة تشانغ لأنه أعطاني معلومات كثيرة عن الطب والتشريح وقد كنت طلبت منه ذلك وفي كل مرة كنت أشعر أنني أخون ثقته والعلم الذي قدمه لي ولكن دون ذلك كنت متحمسًا لما يحدث وأبحث من وقت لآخر عن طرق جديدة للتشريح غير التي تعلمتها ولعملية القتل نفسها، لم يسبق أن يتحدث معي أحد من الضحايا فقط الصراخ والاستغاثة هما ما أسمع إن كانت الضحية على قيد الحياة والصمت إن كانت ميتة بالفعل.

- حاول أن تتذكر كيف تم اختطاف كل هذا العدد.

- لا أجد في ذاكرتي شيئًا يفيد بشأن هذا، لا أتذكر كيف اختطفتهم جميعًا، ما قبل أن أصعد بأجسادهم في الصندوق عبر المصعد كأنه مُحيَ من ذاكرتي.

- هل سبق لك تخيل أشياء وهي لا تحدث في الواقع، أقصد أنك ترى أشياء تحدث وينفي مَن حولك وجودها أو حتى تسمع.

- كنت أسمع صوت خطوات في المنزل تتجه نحو غرفتي أو حتى نحو القبو وقد كان تشانغ يخبرني بأن هذه مجرد كوابيس أو هلاوس، فقد كانت تتكرر عندما أستيقظ أو بعد الانتهاء من مشاهدة فيلم ولم أكن على ما يرام في تلك الفترة خاصة بعد حادث أمي وأبي.

- وما هو ذاك الحادث؟

بدأ هيون يسرد كل ما حدث لسو يون التي كانت تدون النقاط المهمة في دفترها بينما الجلسة بأكملها مُسجلة ويسمعها جيو ري بالخارج، استأذنت سو يون من هيون وو بالخروج لبعض الوقت وستعود، أومأ برأسه وهو يتذكر الحادثة التي كان يسرد تفاصيلها منذ قليل، كان يشعر بالتوتر في وجود سو يون التي لم تكف عن الأسئلة وقد كانت نظراتها تقلقه، خرجت سو يون إلى المحقق بعدما أغلقت الباب بإحكام، جلست على الكرسي تطالع أوراقها لبعض الوقت ثم بادرت بسؤال جيو ري:

- متأكد أنه ليس هناك دليل على القتل سوى اعترافه؟

- نعم، اعترافه فقط، حتى أن تواريخ الجرائم التي أدلى بها تمكنت التحقيقات أن تثبت أنه كان في مكان آخر خلالها ومعظم الأسماء التي أخبرنا بها أسماء وهمية، ما يحيرني هو تشابه اسم من الأسماء وتوقيت القتل مع اختطاف رجل بنفس الاسم فعلا، ولكن هذا يثبت جريمة واحدة من أصل تسعة عشر وهذا لا يمثل أي شيء.

- أنا أقدر المجهود الذي بذلته في هذه الساعات القليلة ودون الاستعانة بشواهد ولكن ألا يمكن أن يكون رأى إعلانًا يفيد بأن هذه الضحية مفقودة فقرر أن يخبرنا باسمها؟

- ما الاستفادة العائدة عليه من هذا في الأساس؟

- هذا الأمر ينقصه خيوط كثيرة، على أي حال لا يمكننا الوثوق بمجرم، نحن لا نعلم متى قدم معلومات صحيحة ومتى لا، كما أننا لم نفتش منزله حتى بعدما أدلى بعنوان آخر، ألم تفكر في تفتيشه؟ وأيضًا التحقيق مع عائلته مهم للغاية..

قاطعها قائلًا:

- السيد بارك اشترط أن يدلي بكل أقواله أمام مَن نريد ولكن بشرط عدم إخبار عائلته بأي شيء، حتى أنه طلب أن نعثر على دو آه ونعيدها للمنزل دو إخبارها بمكانه أو أنه الذي قدم بلاغًا يفيد بأنها مفقودة.

- لا فائدة لتلك الأقوال دون أدلة، نحن نضيع وقتًا يمكن أن يكون مجرم آخر قد هرب فيه بالفعل وقد تفيدنا عائلته بأي شيء إضافي عنه، حتى أصدقائه كذلك.

كان ينظر لها فقط بعينين شبه مقتنعة بحديثها، لكن دون أن يرد فأكملت تصفحها في الأوراق والتي سرعان ما أغلقتها وعادت تنظر إلى جيو ري:

- في الواقع هناك بعض المعلومات التي استنتجتها من الحديث معه، قد بدا لي أنه مريض فصام ويبدو الوضع متدهورًا حتى أنه بات نصف مفصول عن الواقع، يحيا أحداثًا في عالمنا هنا وأحداثًا أخرى في عالمه هناك، والفصام هو حالة عقلية تصيب المريض بالهلاوس سواء أكانت سمعية أو بصرية وتجعله يرى مشاهد لا تحدث وبالطبع هذه المشاهد تبدو حقيقية تمامًا بالنسبة له كأي حدث يومي آخر أي أنه لا يمكنه التفريق بين الواقع وما يدور في عقله من خيال وهذا التفسير الأقرب لحالته تلك إن لم يكن يكذب في أي شيء قاله، الآن علينا التحقق من الأمر، أرى أنني بحاجة إلى إخباره لأرى رد فعله كيف سيكون وعلى أساس رد الفعل ذاك سنحدد ما الخطوة القادمة.

- ولكن..

- ليس أمامنا طريق آخر نسلكه صدقني.

سمح لها بالجلوس مرة أخرى مع هيون وو بل وإخباره بالحالة المرضية التي هو عليها، جلست سو يون أمامه لبعض الوقت تتفحص ملامحه وما تخفيه ورائها، بدا هادئًا للغاية ينتظر مصيره بصدر رحب وعلامات الأسى تنتشر على وجهه، لم تعرف من أين تبدأ ولكنها حرصت على التحدث وتصويب عينيها تجاهه حتى لا يهرب منها تعبير صدر منه.

- أعلم أن ما أقوله سيكون صعبًا عليك ولكن مهم بالنسبة لنا أن تعرفه.. في الحقيقة سيد بارك أنت مصاب بفصام..

أخذت سو يون تشرح معلومات عن المرض وسبب التشخيص وهي تنظر لوجه هيون الذي بدا تارة لا يفهم ما تقوله وتارة لا يريد أن يعيه، أنهت حديثها الذي لم يستقبله هيون وبدا أنه لا يصدقه حتى وهي تخبره أن القضية لم تنغلق بعد وما زالت التحقيقات مستمرة وإن حدث جديد سيخبرونه به.

خرجت سو يون من الغرفة وقد أخبرت المحقق أن يعجل بتفتيش منزله فقد يجد أدلة هناك تصل بهم إلى منعطف آمن يتمكنون فيه من أخذ الإجراء اللازم، اتفق جيو ري معها أنهم سيذهبون لتفتيش المنزل غدًا وإن كانت تريد أن تأتي فلا مانع واتفقا على الموعد الذي حدده جيو ري ثم غادرت سو يون مركز الشرطة ولا تقل الحيرة في عقلها عن حيرة جيو ري من هذه القضية ومن هيون أيضًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هيون وو!

ما إن فتح الباب ووجد هيون أمامه حتى احتضنه وانهال عليه بالكثير من الأسئلة عن أين كان وهل وجد دو آه أم لا إلى أن تراجع قليلًا إلى الداخل وهو يرى رجال الشرطة يدلفون خلف هيون، نظر بتعجب لهم ثم إليه وهو يتساءل بعينه عن سبب وجودهم هنا، لم يتركه المحقق يفكر كثيرًا فبادر بقوله:

- مرحبًا سيد بارك، في الحقيقة يجب تفتيش المنزل بأكمله.

- تفتيش المنزل! لمَ سيدي؟

- لا وقت للحديث الآن سأخبرك بكل شيء بعدما ننتهي.

أفسح لهم تشانغ الطريق لينتشروا في المنزل يفتشونه ويبحثون عن أي شيء يدل على جرائم هيون وو، صعدوا إلى غرفته وفتشوا كل زاوية بها ولكن لم يجدوا فيها سوى اسطوانات الموسيقى وأغراضه الخاصة التي لا تبدو كأغراض قاتل، خرج الشرطي الذي كان قد دلف ليفتش مكتب تشانغ

بعلبة امتلأت بأدوات جراحة، سرعان ما فسر تشانغ وجود هذه الأدوات بسبب عمله في المكتب وهو ما أكده هيون وو، لم تكن الأدوات وحدها هي المشكلة بل أيضًا الكتب التي اكتنزها تشانغ في مكتبته والتي تحمل أفكارًا متطرفة قد تكون ساعدت في بناء قاتل منذ الصغر.

بعد ساعة ونصف انتهى التفتيش ولم يجد جيو ري الشيء الذي أتى من أجله، لم يجد دليلًا واحدًا يدين هيون وو، كأن هناك شخصًا خلفه يمحي آثار جرائمه بسرعة، لم يعرف كيف سيتصرف الآن، طلبت سو يون أن تتحدث معه بمفردهما ففعل مثلما طلبت.

- لقد ذكر هيون وو وجود قبو في المنزل، أرى أن نطالعه قبل الذهاب.

أومأ جيو ري موافقًا وهو يتجه إلى تشانغ ويخبره أن عليهم تفتيش قبو المنزل، لم يكن تشانغ يعجبه هذا الذي يحدث في المنزل دون تفسير، ولم يعجبه اقتراح المحقق بتفتيش القبو كذلك وهو ما ظهر جليًا على وجهه، كان يفكر أن يخبره بعدم وجود قبو ولكن يبدو من صيغة حديثه علمه المسبق بوجود واحد، أومأ رأسه باقتضاب وسمح لهم بالتقدم نحو القبو، ذهبوا برفقة تشانغ إلى نهاية الممر وفتح لهم بابًا ثقيلًا بعض الشيء، هبطوا على الدرج للأسفل وقد كان القبو واسعًا يكاد يشمل المنزل بأكمله وتغطي الأقمشة البيضاء ذلك الأثاث المتهالك به، تفوح منه راحة غريبة ولكنها بعيدة أيضًا كأنها حُجِبت خلف زاوية ما، انتشر العساكر به يبحثون عن أي شيء يمكن أن يخبئه هيون هنا، كانت حركتهم في كل مكان تعيق الواقفين من الثبات في أماكنهم، تحرك هيون وو خطوتين إلى الخلف ليصطدم بصندوق خشبي كبير، كان الصندوق متواريًا بقطعة خشبية كبيرة ولكنها تحركت قليلًا عندما اصطدم بها هيون، انحنى ليعيدها إلى موضعها ولكنه شعر بدوار يجتاح عقله فجأة بعدما أبصر من الثقب الذي خَلَّفه تزحزح القطعة ما بالصندوق، انحنى أكثر يزيح ذلك الغطاء الخشبي ويتمنى أن تكون تلك من الهلاوس التي أخبرته عنها الطبيبة، ما إن أزاح الغطاء حتى صُدِمت عينه بوجه دو آه وعينيها المغمضتين داخل الصندوق، تراجع إلى الوراء بصدمة وبحثت عينه تلقائيًا عن تشانغ الذي كان يقف بلا أي تعبير على وجهه ويرفع رأسه للأعلى، اقترب هيون وو من الصندوق وقد بدأ يصرخ لما رآه مما لفت أنظار الجميع إليه، كانت دو آه ساكنة في هذا الصندوق لا تتحرك ولا تعرف الأنفاس طريقًا لرئتيها، استمر صراخ هيون وو بها أن تستيقظ والجميع ينظر حوله في صدمة، حاول العساكر أن يسحبوه من جانب الجثة ولكنه ظل متشبثًا بها وبالصندوق، علا صوت جيو ري الذي أمر جميع العساكر أن تفتش كل إنش في القبو وتزيح كل القماش الأبيض وتفتش تحت هذا الأثاث، مرت دقائق بطيئة على قلب هيون وو الصارخ اكتشف بها المحقق أن هذا الأثاث في الحقيقة لم يكن أثاثًا

وإنما صناديق زجاجية كبيرة الحجم محفوظة بها بعض الأجزاء البشرية في مادة لزجة عديمة اللون، وأيضًا العديد من السكاكين وساطور ضخم وعصا حديدية تلتف عليها سلسلة من الصلب وأيضًا بعض المواد الكيميائية التي كانت محفوظة في مكان بعيد عن الصناديق وبجواره صندوق خشبي كبير يحوي الكثير من الأوراق التي تبدو خاصة بالضحايا، كان جيو ري مبتسمًا عندما وجد ما يبحث عنه فهذه هي الأدلة التي ستمكنه من غلق القضية دون أي عقبات، قاطع أفكاره صراخ هيون وو المتواصل يحاول أن يحمل دو آه ولكن غلب الإنهاك أضلعه، ظل يحاول أن يوقظها وسو يون من ورائه تسحب يده إلى الخلف، جلس جيو ري إلى جانبه ينظر لوجه الفتاة التي لم يكف هيون وو عن مناداتها والتحدث إليها، دون الحاجة إلى طبيب كان قد عرف أنها جثة فقد بدا هذا جليًا على وجهها الذي تظهر عليه آثار الاختناق، أمر العساكر بأن يبعدوا هيون عن الجثة كي يتمكن من فحص الصندوق ففعلوا واقتربت سو يون تدقق في جسد الفتاة، لم تكن هناك علامات اختناق على رقبتها، فاستنتجوا أنها اختنقت بمادة ما أو غاز سام، نهضت سو يون وهي تأمر الجميع أن يخرجوا من القبو ويحملوا كل هذه الأغراض معهم وهو قرار قد وافقها به جيو ري الذي أمسك بهيون بعدما أفلت من يد العساكر ثم حاول تهدئته، في هذه الآونة كان تشانغ يقف محدقًا في سقف القبو ولم يرمش له جفن لما يحدث أمامه، نظر هيون نحوه بأعين قد غزتها الدموع وهو يرى صموده أمام جسد دو آه الملقي في قبو منزله، نطق من بين حشرجة صوته وتلك القنوات التي انحدرت على وجهه بتعجب بدا على نبرته:

- أجاشي!

وكأن هيون قد نبه الجميع لوجود تشانغ فالتفت جيو ري وسو يون إلى العجوز الذي ما إن سمع اسمه حتى رمق الفتى بنظرة صامتة يتخللها الحنان وظل ثابتًا كما كان، لا تعتليه دهشة أو يغزو وجهه فزع، كأنه كان يعلم بأن هذا ما سيحدث، كأنه كان يعلم أن جسد دو آه لقي حتفه في قبو منزله!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- هذا المكان يبدو مخيفًا بعض الشيء، أين عثرت عليه؟

- لم أعثر عليه، هو عثر عليّ.

لم يفهم ما قصده وقال مازحًا:

- يبدو كعلبة الكبريت، لمَ قررت استئجاره؟

عاجلته ضربة سكين في قدمه، أخذ يصرخ من الألم ولكن كتم الآخر فمه بقماشة سميكة وأخرج السكين من قدمه ليُقِرها في رقبته.

أضواء شموع حول الطاولة التي تنتصف الحجرة وقطرات الدماء تتساقط في الوعاء الذي أعلاها فيخترق صوتها صمت الغرفة، أرضية بنية اللون وجدران تلطخت بلون برونزي خفيف، هناك كرسي في الزاوية ومكتب في الجهة المقابلة، أمام الطاولة هناك مكتبة كبيرة نصفها كتب والنصف الآخر أدوات حادة، اتجه إلى المكتبة بقدم منهكة وأخذ الساطور منها وقد توجه إلى الجثة التي تتمدد على الأرض مبتورة الرأس، كانت الرأس معلقة على سلسلة حديدية وتقطر الدماء منها في ذاك الوعاء، انحنى جالسًا أمام ذاك الجسد يربت على يده بهدوء.

- يجب أن تسامحني، أعتقد أنك لم تكن لترضى برسوبي في مشروع التخرج، لقد كنت أحبك لدرجة أنك أصبحت مشروع تخرجي.

قد كانت الهندسة الوراثية التي أُشعِلت في تلك الفترة من سبعينات القرن الماضي ازدهرت بعد أن فجر رودلف جانيسش أبحاثه المتعلقة بأول فأر معدل جينيًا ومن بعدها أقيمت شركة غينيتيك والتي كانت أول شركة في الهندسة الوراثية وقد بدأت في تصنيع الهرمونات البشرية، في ذلك الوقت كان ولع المهتمين بالمجال الطبي هو الهندسة الوراثية وهذا تحديدًا ما سعى إليه تشانغ، لكن تطلعاته كانت أكبر عندما فكر أن يصنع إنسانًا معدل جينيًا ويصنع ثورة في عالم الهندسة الوراثية أكبر حتى من التي صنعها جانيسش، قرر أن يفحص دماء بشرية ليتمكن من تدعيم أبحاثه التي بدأ بها منذ عام ونصف، كان وجود جسد بشري أيضًا مهمًا ليستخدم خلاياه الميتة كحقل اختبار، لم يكن أمامه سوى دونج لي، الصديق الذي تعرف عليه منذ ثلاثة أعوام في الجامعة وليس لديه عائلة تبحث وراء اختفائه بالإضافة إلى عدم وجود مانع في دمه لإجراء الأبحاث.

حمل الجثة ووضعها على المنضدة بعدما أزاح وعاء الدم الذي امتلأ عن آخره وأنزل الرأس المعلقة ليحفظها في الثلاجة كي يستخدم خلايا المخ في وقت لاحق، غرز خطافين للأسماك في أكتاف الجثة ثم علقها منهما في الحبل الممتد أعلى الطاولة وفصل القدمين عنها ثم وضعهما على الطاولة وبدأ في تقطيعها، كان دونج لي من بوسان، أتى إلى هنا ملتحقًا بسيول الوطنية ليحقق حلم والده الذي مات وتركه منذ ثلاثة عشر عامًا، لم يكن يعلم أنه سينتهي هنا أسفل ساطور تشانغ، أخذ يزيح حبات العرق المتراكمة على وجهه ثم أخرج الرأس من الثلاجة مرة أخرى وأخذ يحدد جلد الوجه بالكامل لينزعه؛ لم يكن يتحمل أن يرى ملامح دونج لي تحدق إليه ولكنه لم يصرح أمام نفسه بذلك، منذ أن اعتنق أفكار هتلر النازية وهو يرى أن له الحق في قتل أي أحد، أحيانًا كثيرة يلح عليه هذا السؤال، هل من حق أي أحد أن يقتله كذلك؟ وفي كل المرات التي طرح عقله عليه هذا السؤال كان يتحاشى تلك الإجابة التي لو

أعلنها لحرمها على نفسه كذلك فقرر الصمت كحل مناسب ومرضٍ لكل الأطراف، فرغ من تقطيع القدمين إلى أجزاء صغيرة جدًا وعبأها فيً كيس بلاستيكي فقد قرر أن يتخلص من الأجزاء الزائدة حتى لا تفتعل روائح تجذب الأنظار، غسل يديه من آثار الدماء والخيانة التي لن يقف يومًا أمام المرآة ليعترف أنه قام بها، ولكن مهما حاول التهرب وتحاشي النظر إلى وجهه لن ينفي هذا كونه أصبح قاتلًا وخائنًا لمهنته التي تُلزِم عليه إنقاذ أي مريض.

نفض عن رأسه تلك الأفكار التي سيتهرب منها لأعوام وأمسك برواية الأدغال لسنكلير والتي غاص معها في أحوال الشعب الفقير في أمريكا والحياة القاحلة التي عاشها المهاجرون من ظلم واستغلال في المدن الصناعية وخاصة شيكاغو.

بعد ساعات قليلة كان قد انتهى من القراءة ولكن الوقت تأخر لهذا قرر المبيت هنا، نظر إلى جثة دونج لي التي وضعها على الطاولة مجددًا ثم حدق لها لبعض الوقت، هذه الحادثة لن تمر، على الأقل داخله وهو على يقين أنها بداية لسلسلة واسعة من القتل بمختلف الأهداف ولهذا السبب تحديدًا فضل تشانغ ألا يتزوج، لم يكن يدرك من مخاوفه متى سيتخلص من زوجته أو حتى أطفاله، لذا قرر العيش وحيدًا كي تصبح أي صفعة موت يوجهها إلى شخص ما بعيدة تمامًا عن منزله الخالي من سواه، لم يكن همه الأكبر في تلك اللحظة أبحاث الهندسة الوراثية وأن يسجل التاريخ اسمه يومًا ما أو حتى مشروع التخرج ليصبح طبيبًا، شعر أن الإنسان داخله قد بدأ يصحو وقد تعجب مما تجرأ هذا العقل على فعله، قرر تشانغ أن ينام فالنوم هو أفضل خيار للهروب من هذا العبث الذي يركض في عقله، أغمض عينه على المرتبة الصغيرة التي وضعها مسبقًا على الأرض وأوقف آلة التفكير عن عملها لليوم.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

السابع عشر من نيسان لعام ٢٠٢٠

- ألن تطلق سراح هيون وو؟

- ليس قبل أن أتأكد من أنه لم يفعل أي شيء من هذه الجرائم، الملفات كثيرة في الحقيقة ولا أجد تفسيرًا لأن يكون مربيه قاتلًا فينسج عقله هلاوسًا تفيد بأنه قاتل، هذا كله غير منطقي سو يون.

- هناك احتمال أن يكون تشانغ قد سمم أفكاره وهو نائم وأنه على علم بحالته العقلية وفعل هذا كي لا يراه الشاب بصورة القاتل.

- ولكن كيف كان سيكتشف الأمر؟

- على أي حال لم يكن ليتنظر أن يكتشفه يا جيو ري!

صمت المحقق وهو ينظر إلى الغرفة التي اعتقلوا بها تشانغ وهيون وو، كانا يجلسان بعيدين عن بعضهما، تشانغ يحدق في هيون وو وهيون شاخص ببصره نحو الأرض وقد بدت على وجهه أعراض الصدمة التي تلقاها البارحة في الرجل الذي اعتنى به كل هذه السنوات، تبادل جيو ري النظرات مع سو يون التي نصحته أن يسرع في التحقيقات كي يفرجوا عن هيون وو، لا تعلم ما هذه الثقة التي اكتسبها هيون فجأة لديها ولكن تظن أنه يستحقها، دائمًا ما تقف في صف مرضاها وحياة هذا الشاب كانت عسيرة، لقد رأى عائلته تموت أمام عينه مرتين، مرة في ذلك الحادث الذي قصه عليها ومرة أخرى عندما رأى جثة دو آه في القبو الخاص بتشانغ، لم تتعجب من السكيزوفرينيا «الفصام» التي أصابت عقله لتخرجه من واقع مظلم إلى آخر أشد حلكة ولكنه كان يفرغ به تلك السنوات المنقضية هباءً تجرف من عقله ما تجرف دون إذن وهذا الحزن الذي لم يندمل.

استأذنت سو يون للذهاب إلى منزلها تاركة جيو ري يقع في نفس دوامة التفكير التي أصابتها، كان يراقبهما لبعض الوقت ثم ذهب إلى المكتب ليباشر بالتحقيق والرجوع إلى أصحاب البيانات الموجودة في الحقيبة بالإضافة إلى تحليل الأجزاء البشرية التي وجدوها، في هذه الأثناء كان تشانغ ينهض من موضعه، حاول الاقتراب من هيون وو بخطى مرتعشة، لم يعرف تحديدًا ما الذي عليه قوله ليخفف من حدة الموقف وهو يعلم تمامًا أن لا شيء سيمحيه أو يقلل أثره، رفع هيون وو رأسه بعدما أصبحت أقدام تشانغ المقتربة في مرمى بصره وما أن رآه يقترب أكثر حتى هب واقفًا يحذره من الاقتراب ولكن تشانغ لم يعبأ بحديثه، استمر في التقدم نحو هيون وو حتى أوقفه الأخير بتلك الكلمات التي هبطت كالسيف على كتفه:

- أتريد التخلص مني مثل دو آه!

- هيون..

- لا أريد سماع اسمي بصوتك مرة أخرى، ابتعد عني لقد قتلت صديقتي والفتاة التي كنت تزعم دائمًا أنها ابنتك، أنا حتى لن أستبعد فكرة أن تقتلني أنا.

وقف تشانغ صامتًا لبعض الوقت أمام كلماته، شعر كأن دلو ماء مثلج قد سقط على رأسه، تلك الهواجس التي خشي أن تحدث قديمًا، كان يخشى أن يتحول إلى قاتل ويسلب عائلته وقد تحول بالفعل، قتل الفتاة وأصبح الفتى يرتعد من اقترابه، كل حوادث القتل التي نفذها لم تحرق شيئًا داخله مثل حادثة دو آه ونظرة الهلع التي في عين هيون وو، الآن فقط يشعر أنه خسر

كل شيء وعاد وحيدًا كما كان، أفاق من طرقات ذكرياته وهو يحاول تقديم أي مبرر، أي شيء قد يمحو تلك النظرة التي تقذف سهامها نحوه:

- لقد تملكني الخوف هيون وو، شعرت أنني سأفقدك ولم يكن لي في هذا العالم سواك، شعرت أن دو آه استحوذت عليك وانتهى أمري أنا.

- حقًا؟ من عقلك تتحدث! أما زلت تبرر وتختلق أعذارًا ولأي شيء تختلق مبررًا اليوم؟ لقتل أختي الصغيرة؟ ببالغ ودي أحب أن أبشرك سيد بارك أن مخاوفك كلها قد تحولت إلى حقيقة، فالعائلة التي كنت تخشى فقدها والمضي وحيدًا من جديد قد فقدتها بالفعل، نصفها قد صعد إلى السماء والنصف الآخر صار يفضل الموت عن البقاء معك ولو ثانية واحدة، أتمنى أن تدرك كونك قاتلًا..

قاطعه بسرعة وكأنه لم يكتفِ من إلقاء الأكاذيب لليوم:

- كنت أقتل الغرباء الذين كنت تخشاهم دائمًا وتسير في الشارع متجنبًا النظر في أعينهم، فعلت هذا لأجلك..

- توقف عن هذا! توقف عن نسب مبررات جرائمك لي وكأن هدفك من كل هذا جعلي سعيدًا، يا لها من طريقة بارعة في جعلي سعيدًا، هل قلت لك قبلًا أن دو آه تزعجني لدرجة أن تفقدها حياتها؟ هل أشرت إليك بيدي على شخص ما وأخبرتك أن موته سيريح أعصابي؟ كف عن اختلاق هذه الأكاذيب حيالي، أرجوك بارك تشانغ ابتعد عن طريقي فأنت الإنسان الوحيد الذي سأرتاح في عدم وجوده!

كاد تشانغ أن يفقد توازن خطواته وهو يعود إلى الخلف ويطيل النظر إلى وجه هيون وو، شعر أن سنوات عمره بأكملها قد ذهبت دون جدوى، لم تنفعه أبحاث أو معلومات أو حتى عائلة، لم ينفعه أي شيء وأودى به الغباء الذي اعتلى رأسه من قديم الزمن، تحدث إلى نفسه ولم تترك عينه التأمل في وجه هيون وو: عما تدافع يا تشانغ! لم يقل الفتى أي خطأ، لقد كنت وستظل قاتلًا، أنت كالعاصفة التي تلتهم بلادها، الفتاة التي بكت كثيرًا بين أضلعك وضحكت أكثر وقد جففت دموعها بيدك وأطعمتها بها كذلك دفعت بها إلى القبو لتخرج منه جثة قتلها العمى الذي أصابك، لم ينتهِ الأمر عند دونج لي وأبحاثك بل استمر حتى جرف آخر ما قد تمنحه الحياة لك، هل ستتحدث بجدية؟ قتلت من أجل هيون؟ لا، بل من أجل دوافعك والأفكار التي تدينت بها في شبابك حتى أصبحت منهجًا تسير عليه، لا أعلم ما الذي كنت تنتظره للآن، هل راق لك أن تنتهي أسفل حريق غاز أم أنك كنت تريد الانتحار عقب الانتهاء من أفكارك التي أنهكتك ومتى كانت ستنتهي؟ عندما تتخلص من الفتى وتجلس بجانبه تذرف الدموع مبللًا جثته، للأسف لا نفع الآن، لقد ظل عقلك

نائمًا طول هذه السنوات لا تتوقع منه أن يصحو الآن وينظف أكوام الغبار التي صنعتها حولك، لقد فات الأوان سيد بارك والآن لا كوبًا حتى تبكي عليه..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وفقًا للمادة رقم ٢٥٠ من القانون الجنائي فقد قررنا نحن أن بارك تشانغ المتهم بقتل والتمثيل بتسع وثلاثين جثة حُكِم عليه بالإعدام، رُفِعت.

ساد الصمت بعد أن أصدر القاضي حكمه ونظر هيون وو لتشانغ لآخر مرة، كان يجلس بجانب جيو ري وسو يون اللذين حاولا بكل جهدهما أن يخرجاه من هذه القضية، ظلت النظرات الثاقبة التي يبعثها هيون وو تستقيم في طريقها لتستقر في أعين تشانغ، خطا نحوه بثبات وهو يبتسم، ظل واقفًا لأقل من دقيقة يحدق به وبالأقفال التي أصبحت تملأ يده ثم قال بنبرة شامتة:

- أتمنى لك أيامًا بنفس السوء الذي ستتركه خلفك وترحل، أيامًا تذكرك بالعناء الذي مرت به تلك العائلات وتجعلك تموت ببطء كل يوم.

كان تشانغ ينتظر حديثًا غير هذا، ينتظر عناقًا على الأقل ولكنه لم يرَ من عينيه سوى حقد قد أغدقهما، حاول أن يتحدث ولكن هيون لم يترك له فرصة حيث خرج من قاعة المحاكمة برفقة سو يون وجيو ري..

ظل جيو ري يبحث ويحقق لساعات في الأوراق التي وجدها، لحسن الحظ بعض التواريخ الخاصة بالجثث تنتمي لأناس ماتوا قبل أن يولد هيون وو من الأساس، استغل جيو ري هذه النقطة وبالإضافة إلى رفع البصمات عن دو آه والتي كانت لتشانغ استطاع أن يثبت أن القاتل الحقيقي هو بارك تشانغ والذي استغل الطفل الصغير وأخذ يبعث في عقله أفكار عدة، تارة عن طريق التشريح وتارة بواسطة كتبه المتطرفة التي وجدوها في المكتبة، تم الإفراج عن هيون وو اليوم الذي تلا هذه التحقيقات بمساعدة تقرير سو يون الطبي وملف هيون الذي لم يُلطخ بعد، عاد هيون إلى المنزل الذي لعب وضحك به كثيرًا رفقة دو آه، قبل أن يدلف إليه قابلته والدتها في الخارج ما أن رأته حتى أسرعت تحتضنه وتبكي.

- سيدة كيم، أنا آسف حقًا..

علا صوت نحيبها دون رد منها، ربت هيون على رأسها وهو ينهال على مسامعها بعبارات التعزية المحفوظة، للآن حتى فهم أن تلك العبارات كإشعال الفتيل تمامًا، كلما بردت جمرة القلب قليلًا تشتعل مرة أخرى بها، صمت لثوانٍ بعد أن أدرك أنه يعزيها في دو آه، رفيقة العمر والسنوات المنقضية بحلوها ومرها وأخته الصغيرة كما قال لتشانغ، تراجع إلى الخلف ينظر إلى عين السيدة كيم المحتجة بالدموع، سار نحو المنزل بخطى متثاقلة

تسبقه إليه أفكاره المتضاربة، حاول أن يفتح الباب ولكن ارتعشت يده، لقد كان جسد دو آه في هذا المنزل منذ أيام، تذكر طرقاتهما المتعددة عليه ليفتح تشانغ لهما متضجرًا منهما بمزاح وتتعالى الضحكات، هل كان سيأتي على تشانغ يوم ويقتله به لأنه تعلق به وأصبح يهدد حياته السعيدة؟ هل كان سيتخلص منه مثل دو آه!

فتح باب المنزل ودلف وأغلقه، كان المنزل كالمقابر تمامًا بعد أن رحل الجميع، نفسه المنزل الذي كانت تحفه السعادة، هنا حيث كان يجلس بجانب تشانغ يشاهدان التلفاز وهنا المطبخ وصورة تشانغ أمامه يخرج منه ممسكًا المغرفة ويقول بحماس:

- ستتناول حساءً بنكهة لم تتناولها من قبل، قررت أن أخرج عن الوصفات المعتادة..

تلاشت الصورة لتظهر دو آه تركض على السلم بمرح، كانت صغيرة قليلًا، أخرجت لسانها له ثم تحدته أن يمسكها، بين كل هذه المشاهد كان هناك طفل صغير يركض وراء دو آه وطفل أكبر قليلًا يخرج من الممر مفزوعًا بينما تشانغ يخبره أن ما سمعه بالقرب من القبو هو مجرد هلاوس_ لسخرية القدر كانت هذه الأصوات الوحيدة التي سمعها هيون ولم تكن هلاوس_ ثم فتى يدلف غرفة المكتب بشغف، وأخيرًا شاب يقف أمام تشانغ ينتظر الطعام ويمازحه، مرت كل هذه الأشخاص سريعة في عقل هيون وو الذي أغمض عينه بقوة للحظة كي تتلاشى كل هذه الأطياف.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أشرقت عينه على السقف المظلم والغرفة البائسة التي لم تترك مساحة سليمة بعقله، يحاول النهوض لمواصلة يوم جديد في المنزل الذي لم يعد يدلف إليه النور، هبط على الدرج وسط هذه الظلمة، صوت خطوات متهالكة أعلى أرضية الممر الخشبية، يتجه نحو الحمام ليغتسل أوقفه ظل قصير مر بسرعة من أمامه، لقد عادت تلك الترهات تداهم عقله مجددًا، أكمل الطريق الذي استغرق الممر الخشبي بأكمله وعينه تبحث عن الظل الصغير ولم يخيب ظنه عندما عاد من جديد راكضًا باتجاه غرفة تشانغ، الظلام الذي غلف المنزل أخبره أن الظل ما زال في الجوار ولكنه لم يفسر صاحبه وكعادة كل يوم وضع العصابة على عقله وهو يقف أمام الحوض ويغسل وجهه كأنه يغسل أعباء الأمس ليستقبل أقاربها الجدد اليوم، لمح ذلك الظل يعبر من أسفل يديه إلى خارج الحمام، لم يستطع ألا يلتفت ويشعر بالخوف الذي بدا جليًا على قلبه عكس هيئته الخارجية التي اعتادت الثبات في مثل تلك المواقف التي تحدث منذ شهر تقريبًا، أغلق صنبور المياه وهو يلتقط المنشفة وتلتقط أذنه أصواتًا خافتة أعلى الأرض الخشبية، ابتسم ابتسامة باهتة وهو يهتف:

- ليس اليوم، أخبر أصدقائك أننا في عطلة، سأستقبلكم في يوم آخر.

اختفى الصوت في الممر فعادت الابتسامة الباهتة إلى ثغره مرة أخرى وهو يتجه نحو المطبخ، يوم جديد في هذا المنزل البائس، يكره اللحظة التي يدلف فيها إلى المطبخ ويحك رأسه لا يعلم ماذا سيأكل اليوم ويصيح الراميون في وجهه أن يتركه ليوم واحد فقط ولكن لا مفر، وضع الطبق الذي حضره أعلى المنضدة ومن ثم فتح التلفاز ليشاهد ما الذي يجري في العالم من حوله، الأخبار السياسية من جديد وحالات الاختفاء التي تتفاقم، ومَن غيرها ليعكر مزاجه المتكدر بالفعل؟

صدح صوت الهاتف في أرجاء المنزل، رمقه بنظرة خاطفة وهو يزفر ولم ينهض من موضعه، لا بد أنها سو يون لقد أصرت عليه أن يخرج من المعتقل الذي يضع نفسه فيه كما ذكرت ولو للتنزه حتى ولم يعطها أذنًا، العالم بالخارج أكثر وحشة من أشباحه الصغيرة التي اتخذت من أذنه وعينه مسكنًا، لو تعلم هذه الأشباح أنه قارن بشاعة العالم الخارجي بها لعادت تطرق على عقله من جديد ولكنها إجازة اليوم..

بعد مرور ساعات من اللاشيء والجلوس أمام التلفاز بلا هدف صعد مجددًا للنوم بعدما مضى يوم آخر كمثل سابقيه، بمجرد أن دلف للغرفة حتى دلف إلى أذنه صوت المذياع التالف، بدأ ببعض الخشخشة ثم حديث لشخص لم يستطع تفسير كلماته، وضع كفه على جبينه وهو يتمتم بيأس: ليس الآن كنت أنوي النوم للتو!

انطلق صوت انفتاح الخزانة في الغرفة خافتًا ولكن ميزه بسهولة، أستدهور الأمور حد انفتاح الخزانة؟ هكذا ردد عقله وهو يرجو ألا يسوء الأمر ولكن انفتحت على مصراعيها، يا له من يوم حافل بالفعل، لم يفعل شيئًا سوى غلق عينيه وظل يردد أن كل هذا في عقله فقط وازدادت الأصوات كأنها استقرت في عقله ولم يعد النوم زائرًا مُرحَّبًا به من قِبلها، كانت تمر أمام عينه المغلقة مشاهد كثيرة لم يرغب في إعادة إحيائها، فتح عينه بسرعة بعدما خُيِّل له أنه يقطع جسد دو آه، لقد زارته دو آه كثيرًا في كوابيسه هذه الأيام، صمت عقله لوهلة ثم رأى تلك الجثة التي علقها بخطاف حديدي في ستارة المطبخ وغرز سكينًا في قدمها وترك جسدها يطرد الدماء كلها منه.

حاول أن يزيح هذه المشاهد عن عقله وقد نجح الطرق على باب الغرفة في فعل ذلك، ثلاث طرقات متتالية وعلا صوت خشخشة المذياع مجددًا، مرر نظره بين الباب والمذياع الصغير على الطاولة أمامه واتخذ قراره بالنوم وترْك عقله والأصوات بجانب المذياع على الطاولة المستديرة التي تنتصف الغرفة فلا بد أن أشباح عقله وأشباح منزل تشانغ استيقظوا جميعًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرت أيام على نفس هذا الحال وقد أخبر سو يون بالأمر والتي نصحته ألا يبقى في المنزل حتى لا يفقد صوابه ولكنه أصر على رأيه، طُرق باب المنزل ففتحه ليجدها في وجهه، أفسح لها مساحة للدخول ثم أغلق الباب.

- تريد العيش في هذا الظلام دو أن تعبث الأشباح بعقلك؟

ضحك هيون ولم يرد فأكملت بنبرة حنونة:

- أنا أعلم حجم التعب الذي عبرت خلاله ولكن هذا أمر ضروري يا هيون، هكذا ستصبح أفضل، أرجوك فكر في الأمر.

- سو يون أرجوكِ، أنا لا أصدق أنني لست قاتلًا، هناك خيط عني فقدوه بالتأكيد، لا مبرر أن يقودني ذهني لتخيل جرائم القتل تحديدًا.

- لقد سمعت تشانغ بنفسه وهو يخبرهم أنه كان يحاول أن يُدخِل تلك الأفكار إلى رأسك ببطء وما مررت به مبررًا لها أيضًا.

- ليس سببًا مقنعًا..

- على أي حال لا أود سوى صحتك، أرجوك تعال معي، هذا لمصلحتك هيون، ألا تثق بي؟

- أثق بكِ ولكن أنا بحاجة لبعض الوقت.

- هذا الوقت سيفسد الأمر أكثر بكثير، أعدك أن كل هذا سينتهي وتعود للحياة الحقيقية من جديد..

صمت هيون قليلًا وهو يطالعها، ظلت تلح عليه بنظراتها حتى أومأ برأسه موافقًا، ابتسمت سو يون وهي تعده أن كل شيء سيكون بخير وصعدت إلى الأعلى لتجهز حقيبته ويذهبا معًا، بدا هيون وو مستسلمًا للغاية وهو يسير معها نحو السيارة التي انطلقت إلى طريق جديد لا يعلم أي شيء عن ملامحه..

- صباح الخير، بارك هيون وو، سيبقى معنا لبعض الوقت.

ابتسم الرجل له ابتسامة هادئة بادله هيون وو بأخرى حذرة ضيقة ودلف من البوابة يستعد لرحلة أخرى داخل هذه الجدران، وقعت عينه على اللافتة الكبيرة في واجهة المبنى:

«مستشفى دايجون النفسي».

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

صدح صوت المنبه في الغرفة بأكملها، باغته نور الصباح ما إن فتح عينه ببطء فأغلقها بسرعة، استغرق القليل من الوقت ليتمكن من فتحها جيدًا والنظر إلى الهاتف الذي لم يكف عن الصياح ثم نهض وقد بدا الحماس على وجهه وهو يعد الحقيبة، كانت سو يون تنظر إليه بابتسامة، لقد تغير هيون وو وأصبح مقبلًا على الحياة، ما زال خوفه من العالم قائمًا ولكنه تعافى عن سابق عهده، كانت فكرة السفر بالنسبة له قبلًا مستحيلة ولكن الآن يبدو شغوفًا لهذه الرحلة برفقة إيثان..
مرت ثلاثة أشهر على وجوده بين تلك الجدران وقد أصبح على وفاق معها، جلس في مكتب سو يون ينظر من النافذة يراقب الحياة بالخارج، لقد أثارت تلك الحركة التي يفيض بها العالم حفيظته دائمًا، دلفت إلى المكتب ومعها رجل يبدو في الثلاثينيات من عمره، سرعان ما عرفته على هيون وو الذي لم يكن ودودًا كعادته، كان يدعى إيثان، استضافته سو يون بعض الوقت في المصحة وقد أزيح الستار الذي كان يضعه هيون وو بينهما، سرعان ما أصبح إيثان شخصًا مألوفًا ومن ثم صديقًا عزيزًا وقد وعده قبلًا أن يسافرا إلى مصر لزيارة طبيبة متخصصة في علم النفس هناك.

وصل إيثان المستشفى كما وعده برفقة فتاة ترتدي الحجاب ويبدو أن الحنق جزء من ملامح وجهها، كان وجودها منغصًا بالنسبة لهيون الذي احتضن إيثان مرحبًا به ودعاه للتقدم نحو مكتب سو يون، لم يمضوا الكثير من الوقت داخل المصحة وانطلقوا إلى المطار في سيول ليبدأوا رحلتهم التي قررت تلك الفتاة أن تتشاجر معه قبل أن تبدأ حتى، احتفظ هيون بمشاعر بغيضة تجاهها وقرر ألا يعيرها اهتمامًا حتى نهاية المسار.

وطئت أقدامهم أرض الإسكندرية المصرية عقب وصول الطائرة، كان هيون ينظر إلى الأجواء من حوله ويستشعر النسيم الذي طوقهم حتى وصلوا الفندق ووضعوا أمتعة السفر واستراحوا لبعض الوقت وقد بدلوا ملابسهم ثم انطلقوا حيث عيادة تلك الطبيبة، كانت الأجواء بالخارج يشوبها ازدحام كبير وحديث بالعربية ينبعث من مكبرات الصوت، اعتلت الحيرة التي ارتداها وجه هيون ملامح إيثان كذلك وسرعان ما سأل صديقته عن تلك الجلبة فأخبرته أنه يوم الجمعة ثم بدأت في شرح ما يقومون به في هذا اليوم، مرت نصف ساعة ويبدو أنهم وصلوا للحي الذي تتواجد به العيادة، سأل إيثان بعض الأشخاص عنها وكانت إجابات البعض تسبقها ابتسامة واسعة والبعض الآخر يسمع الاسم ليصمت ويكمل طريقه متجاهلًا الحديث، جعل هذا هيون يشعر أنهم على الطريق الصحيح ولكن بتشكك، بعد أن عرف بأنها ترشيح تلك الفتاة المتعجرفة بدأ ارتيابه في الأمر يزداد.

وصلوا أسفل البناية القديمة والتي لا تبدو أنها تحمل عيادة طبيبة مشهورة على حد ذكرهم فعادة عيادات الأطباء تكون في مبنى مخصص لذلك أو حتى في بناية حديثة الطراز، لم يتمكن هيون من قراءة الأسماء التي اعتلت اللافتات المعلقة أعلى بابها العتيق لأن جميعها باللغة العربية.

- متأكد من أن هناك عيادة حقيقية تقبع هنا؟

انطلق سؤال هيون وو متعجبًا وقد بدا أنه شق ذهن إيڤان كذلك، دلفوا إلى البناية قديمة الطراز والتي كان سقفها عاليًا للغاية ذات جدران شاهقة مختلطة بألوان هادئة، زاد من دهشة هيون وو ضخامة المبنى والدرج الذي لم يرَ بحجمه من قبل، صعدوا إلى الطابق الثاني والذي قد أودى الزمن بمصباحه الكهربائي الذي تقدم باب العيادة ببضعة سينتيمرات، عيادة عادية وبخلاف أي مكتب أو مبنى لم يكن يعتلي جدرانها أي صور أو حتى شهادات، مكونة من غرفة للكشف وممر طويل مظلم لم يتبين هيون ماذا يقبع في آخره، وجدوا تلك الطبيبة المزعومة في وجههم وقد قدمتها لهم صديقة إيڤان وقدمتهم لها، جلست على مكتبها بهدوء وثبات اعتلى وجهها ولفت أنظار هيون وو، استأذنت صديقة إيڤان وغادرت فأخذ هو زمام الحديث بينما هيون ينظر للطبيبة المدعوة أسيل بصمت:

- في الحقيقة كلانا يهتم بدراسة علم نفس ولدينا فضول في معرفة كيف تتعاملين مع مرضاكِ.

أردف هيون وو يكمل الحديث:

- والعلاقة الوثيقة بين الكيمياء وعلم النفس، خاصة العقاقير.

حركت عينيها بهدوء توجه حديثها نحو هيون بكلمات مقتضبة:

- لا أستعمل العقاقير مع مرضاي.

ثم اتجهت بعينيها إلى إيڤان لتردف قائلة:

- أسلوبي يتضمن سماع المريض وتحقيق أمنياته..

ازدادت نظرات الريبة التي اعتلت أنظار هيون وو خاصة بعد جملتها الأخيرة، كاد أن يسألها عن مقصدها من تحقيق الأمنيات ولكن قاطع الكلمات التي نمت على شفتيه مزاح إيڤان:

- حتى إن كانت أمنيات هذا المريض شرب الدماء؟

- أسمع عن دماء هنا، هل تصنعون من مرضاكم نبيذًا؟

التفتوا جميعًا إلى هذا الشاب الذي دلف للتو يستكمل مزاح إيقان بمرح شق الحزم البادي على ملامحه.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة